دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	السياق غير اللغوى والنحو
المصدر:	مجلة رسالة المشرق - مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة - مصر
المؤلف الرئيسي:	سيد، نصرالدين صالح
المجلد/العدد:	مج13, ع1,4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2004
الصفحات:	647 - 758
رقم MD:	624682
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	العوامل غير اللغوية التى تؤثر فى اللغة وقواعدها، التحليل النحوى بالربط بين النحو والسياقات غير اللغوية ، التحليل النحوى والربط بينه وبين المنطق الطبيعى
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/624682

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

السياق غير اللغوي والنحو

د. نصر الدين صالح سعد

مقدمة :

كان الدافع الأول لكتابة هذا البحث دافعا تعليميا حيث تبين معاناة طلابي الأجانب من كوريا الجنوبية في فهم بعض التراكيب، بله عدم قدرتهم علي استيعابها علي المستوي النحوي ، وكثيرا ما كانت تبوء بالفشل محاولات الإحالة إلي المصادر النحوية، ولم تك تلك مشكلة الطلاب الكوريين وحدهم، بل مشكلة أساتذتهم الكوريين أنفسهم، وحداني ذلك إلي الاشتراك ببحث في المؤتمر الدولي الذي عقدته جمعية اللغة العربية وآدابها بكوريا الجنوبية في المدة من ٢٠٠٠/٤/٢٩ إلي ٢٠٠٠/٤/٣٠، وانصب الاهتمام الأكبر علي سياق الموقف (context of situation) وحده بوصفه السياق الأوفق في هذا الاتجاه، حيث يعين علي فهم التركيب، ووظيفته، وهذا ما يوافق علم النحو الوظيفي (functional grammar).

واتخذ البحث منحي آخر حين عدت إلي القاهرة وتوافرت للبحث والباحث المصادر المعينة. وأعدت النظر، فوسعت نطاق البحث ليشمل أغلب السياقات غير اللغوية، أو ليس سياق الموقف أو الحال وحدة. وقد لمس الباحث مشكلة تتمثل في تنوع المصادر التي تخدم هذا الهدف، حيث اتضح من تتابع بعض المصادر النحوية، أنها تنقسم إلي قسمين:

القسم الأول: يعني في التحليل النحوي بالربط بين النحـــو والســـياقات غيـــر اللغوية موظفا رؤيته ومنطقه في صياغة النظرية النحوية.

والقسم الثاني : يعني فقط بالتحليل النحوي والربط بينه وبين المنطق الطبيعـــي من ناحية، والرؤية الخاصة لهؤلاء النحاة أنفسهم من ناحية أخرى.

ودعت الحاجة إلي دراسة بعض مصادر القسم الأول ومحاولة رصد السياقات غير اللغوية التي ارتبطت بالقواعد التي وضعوها معياراً لهـــم، ومقياســـا للصـــدق والثبات الذي تقوم عليه الآراء النحوية الخاصة بهم.

ويمكن وفق ما سبق أن نصنف المصادر النحوية إلي نمطين:

الأول: يمكن أن نطلق عليه مصادر النحـــو الـــوظيفي functional grammar التي تربط القواعد النحوية بالسياق غير اللغوي من مثل:

الكتاب لسيبويه

الجمل للزجاجي

شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي

النمط الثاني: ويمكن أن نطلق عليه- للتمييز بينه وبين النمط الأول- مصـــادر النحو النظري وهي تلك التي تعني بالتعليلات القياسية والتبريرات اللغوية التي تؤيـــد معاييرهم النحوية أو تفسرها، من مثل:

علل النحو لابن الوراق

ولما كان للنمط الأول أهميته الخاصة في تعليم اللغة سواء لأبناء اللغة أنفسهم، أو لغير الناطقين بها. فقد حاول البحث تلمس ذلك في المصادر التالية:

الكتاب	لسيبويه
شرح جمل الزجاجي	لابن عصفور الأشبيلي
شذور ر الذهب	لابن هشام
شرح ألفية بن مالك	لابن عقيل

تمهيد :

١- السياق غير اللغوي: المفهوم والتنوع :

تم اختيار مصطلح (السياق غير اللغوي)، لما يتيحه من إلقاء الضوء على جميع العوامل غير اللغوية التي تؤثر في اللغة وقواعدها، وترسم حدود الصحة والخطأ، وتعدد أوجه التأويل والتفسير. كما أن هذا المصطلح يوسع نطاق البحث ليشمل جوانب أشمل من سياق الحال أو الموقف. وفي العصر الحديث التفت الأنثربولوجي مالينوفسكي في عام ١٩٢٣م إلي أهمية فهم اللغة، وكان يعني سياق الموقف أو الحال .Context of Situation

وقد وسع مالينوفسكي فكرة السياق في عام ١٩٣٥ وطوره إلى ما هو أبعد من سياق الحال ،وكان يقصد به السياق الثقافي cultural context ،لأنه رأى أن اللغة بوصفها نظاما ذا أنماط معجمية، وتصنيفات نحوية لابد أن تكون ذات علاقة وثيقة بسياقها الثقافي، وقد رأي فيرث فيما بعد إمكانية الإفادة من هذه الفكرة العامة لسياق الحال أو الموقف باعتباره نوعا من أنواع السياق في النظرية العامة للغة.(١)

أن الفكرة الرئيسة التي تجعل من الثقافة سياقا للغة بوصفها نظاما كان أكثر وضوحا وجلاء في أعمال معاصري فيرث، وهما. سابير Sapir وورف Whorf وتعمل الثقافة وفق فرضيات سابير وورف، كوسائل أولية للإدراك الحسي العميق للأفراد، والبناء المشترك للخبرة المساهمة في الواقع الاجتماعي اللذين يعاد دوما

إقرارهما، وتغييرهما. فالثقافة وفق هذا المعني تمد السياق وما يشمله داخليا من مفردات ونظم نحوية بالتفسير. وعلي أية حال، فإن التحليل العملي للنص يربط بين الاختيارات المعجمية والنحوية وبين العوامل السياقية غير اللغوية[٢]. ولذلك فإننا لن نجانب الصواب عندما نقرر أن لغة المجتمع تمثل أحد جوانب ثقافته "حيث إن العلاقة بين اللغة والثقافة هي علاقة الجزء بالكل، وتتكون منطقة التطابق بين اللغة والثقافة من كل الأجزاء اللغوية، التي نتعلمها من الآخرين. ومن الثابت أن المتحدثين يختارون الصيغ والتراكيب اللغوية التي يستخدمونها حتى يحددوا مواقفهم، في إطار الحيز الاجتماعي المركب والمتعدد الأبعاد"[٣].

إن التغير اللغوي يعكس التغيرات الاجتماعية والمواقف وغيرها من تغيرات مؤثرة في المجتمع وطبقاته وثقافته ... الخ. ويمكن ملاحظة أن العلاقة بينها علاقة جدلية، ومما لا شك فيه أن العلاقات بين أفراد الجماعة، التي تؤدي إلي تشكل الاتصال وأوجهه، تقيد المعايير السلوكية التي تؤثر بدورها في المعايير الكلامية، كما أن السياق غير اللغوي يتضمن عناصر فرعية من السياق الاجتماعي حيث يشتمل علي مجموعة من العوامل الاجتماعية المؤثرة فيها:

١- المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلم.

٢- طبيعة العلاقة بين المتحدث والمتلقي.

٣- بنية التعامل الاجتماعي وتبادل الأدوار الاجتماعية بين الأفراد.

٤- نوعية التعامل (تعامل تجاري، محادثة ودية ... إلخ.)

٥- المعرفة المشتركة بين المشاركين في الحديث[٤].

أن النحو نظام متميز، ولكنه ليس نظاما معزولا، حيث لا انفصال بين النحو والمجتمع والثقافة، ولا يمكن أن نفهم قاعدة نحوية ونشرحها شرحا كافيا، إذا تجاهلنا

الواقع الاجتماعي والثقافي، فكما أن اللغة تحمل عمق مشاعر الجماعة، وأهدافها، ومخاوفها، وآمالها فإن النحو العربي في عمقه يسترد جانباً من جوانب فهمه من هذه الحياة الحقيقية للجماعة. إن النحو – إذا جاز التعبير – يصنع آليات العلاقات المشتركة بين المتكلم والمخاطب، وهذه الآليات هي التي تعينهما علي التواصل، والفهم والإفهام، بل والإبداع الذي ينقل الرؤية الخاصة ويفي بالحاجة إلي التصوير والخيال، بل " إن ملكة النحو إذن هي ملكة القوة التي هي أكبر من الموضوع والوعي، وملكة النحو هي ملكة الروح الجياشة التي ظلت تتأبى علي النظام المنطقي المتأخر. إن قوة تركيب العبارة إذن هى خطاب خفي ونداء جهير"(٥).

وإذا كان البعض يري أن النحو قد انغلق علي نفسه، واهتم باللغة بوصفها كيانا أو نتاجا جاهزا، له قواعده المجردة، فإننا نحاول من خلال طرحنا الإشارة إلي تأثر النحو بالأحوال الاجتماعية، والتغيرات السياسية والاقتصادية، والعوالم النفسية أيضا. لقد كان هدف النحو في المراحل الأولي من نشأته الأولى رسم الحدود الفاصلة بين الخطأ والصواب، وتحديد العلاقات، لأن هذه هي مهمته الأساسية، فالعلاقات النحوية ما هي إلا علاقات افتراضية يؤيدها استخدام الجماعة اللغوية، حيث لا يمكن لمخاطبين ومتكلمين المشاركة في أي نشاط لغوي إلا من خلال هذه الحدود النحوية.

إن الأعراف الاجتماعية والتقاليد تؤدي دورا مهما في تحديد الجوانب الإعرابية، وإدراك العلاقات التي تجمع بين عناصر التركيب المتعددة، ومن ثم فلا صحة لما أشاعه البعض من أن القواعد النحوية لا تتأثر بهذه المؤثرات، ويرون أنه يكفي النظر إلي القرائن اللفظية، والقرائن المعنوية مثل قرينة التعليق إلخ، لذا فإن هذه القرائن إذا لم يتم النظر إليها في ضوء السياق غير اللغوي ونعنى به كل ما

يمكن أن يكون نوعا من أنواعه من مثل: السياق الاجتماعي، والسياق الثقافي، والسياق الحضاري، والسياق الديني، والسياق النفسي، والسياق الإبداعي، والسياق الفيزيقي (من زمان ومكان إلخ) والإشارات الجسمية المصاحبة للحدث الكلامي[٦]، وأيضا منطق النحاة، وسياق الموقف أو الحال الخ، فإن هذه القرائن لا يمكن تحديدها علي وجه الدقة أو معرفة معناها الوظيفي، فالسياقات غير اللغوية التي تشيع في مجتمع ما، هي التي تتحكم في الأنماط اللغوية وفهمها من حيث إنشاء الكلام أو التلقي، وبدونها لا يمكن فهم بعض التراكيب وتحليلها. ولنضرب مثالا بالتركيبين التاليين:

-أكل الرجل التمساح.

-أكل التمساح الرجل.

إن تحديد علاقات الفاعلية والمفعولية في كلتا الجملتين، إنما يخضع للأعراف الاجتماعية الثقافية أكثر من خضوعه للنحو، حيث إن القارئ سيحدد العلاقات وفق مجتمعة هو، فالمجتمعات التي تعتاد أكل لحوم التماسيح ستنحصر إدراكاتها في أن الرجل هو الفاعل في كلتا الجملتين، أما الجماعة اللغوية التي لا تتضمن ثقافتها أكل لحم التمساح، فسينحصر فهمها في اتجاه واحد فقط، وهو أن التمساح هو الذي أكل الرجل.

وكذلك أيضا:

- أكل الكلب الرجل.

-أكل الرجل الكلب.

سنجد أن المجتمعات التي لا تعرف أكل لحم الكلاب سينحصر فهمها النحوي في منحي واحد فقط وهو أن الكلب هو الذي أكل الرجل. أما المجتعات التي يشيع

فيها أن تكون الكلاب طعاما، فإن المعني يختلف، وكذلك إدراك العلاقات النحوية تأخذ اتجاها ثابتا لا تحيد عنه، ألا وهو أكل الرجلُ الكلبَ، ويتضح مما سبق أن ثقافة المجتمع تلعب دورا مهما في فهم التراكيب السابقة.

لقد أدت المحرمات الاجتماعية (taboo)دورها في توجيه المعني والوظيفة النحوية للكلمات الداخلية في التراكيب السابقة، وعلاقات الفاعلية والمفعولية، علي الرغم من مخالفة الترتيب.

ففي حالة :

أكل الرجل	الكلب
(١)	(٢)

ينصرف ذهن الشخص الذي يعيش في مجتمع يكون فيه لحم الكلاب من المحرمات الاجتماعية إلي فكر يتساوى فيه فهمه للتركيب :

أكل الكلب	الرجل
(١)	(٢)

وإذا انتقلنا إلي تركيب آخر التراكيب التي تشيع في الصحافة اليومية، ولنقرأ العنوان البارز التالي الذي يندرج ضمن المجال السياسي:

- استقبل الرئيس وزير الخارجية الأمريكي.

- إننا لأول وهلة يمكن أن نضع احتمالين:

الأول:

استقبل الرئيس ← فاعل

وزير الخارجية الأمريكي ← مفعول به

الثاني:

استقبل الرئيس ← مفعول به

وزير الخارجية الأمريكي ← فاعل

ولا يمكن ترجيح أحد الاحتمالين، إلا بالسياق غير اللغوي، فعلي سبيل المثال، إذا كان ذهن القارئ علي علم بهذا الحدث، أو تلك المناسبة، فسيحدد من خلال معرفته المسبقة أن الرئيس هو الذي استقبل الوزير، أو أن الوزير هو الذي أستقبل الرئيس.

أما إن كان المتلقي خالي الذهب، وعديم المعرفة بالحدث، فسيستوي الأمران بالنسبة له إلي أن يقرأ التفاصيل في المقال، ويطالع الصور المصاحبة لهذا العنوان، ويختلف الأمر إذا كان القارئ علي علم بالقواعد المتبعة في استقبالات الرؤساء أو الوزراء.

ويؤدي السياق الديني أيضا دورا مهما في التوجيه النحوي للقراءات القرآنية، علي الرغم من أن التركيب يمكن أن يقبل أوجه عدة من حيث العلامات الإعرابية، والمعني والقراءة، إلا أن العقيدة الدينية بوصفها سياقا غير لغوي، يمكن أن تحكم السيطرة علي القراءات والنحو(٧)، ولنعرض لقول الله تعالي:

"وأذان من الله ورسوله إلي الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ، من المشركين ورسولُه" [التوبة:٣] ومن الملاحظ أن الجزء الأخير من الآية (ورسوله) يمكن أن يقرأ ويوجه وفق ثلاثة اتجاهات:

الأول: يقرأ بالرفع (ورسولُه).

الثاني: يقرأ بالنصب عطفا علي اسم إن (ورسولَه).

الثالث: يقرأ بالجر (ورسوله) وهي قراءة شاذة، وتؤول بالقسم.

ويرفض القراء و النحاة أن يكون عطفا علي المشركين لأنه يؤدي إلي الكفر[٨].

والمتأمل إلي رفض القراءة الأخيرة الشاذة، ومحاولة تأويل القراءة بالجر علي القسم، أنما هو سياق الدين النابع من عقيدة التوحيد والبعد عن الشرك، وهي أسباب غير لغوية، أثرت بقوة في النحو وقراءة القرآن، وليست العوامل اللغوية. كما تؤدي الأحكام الفقهية دورها أيضاً في تحديد التركيب، وبيان حدود القراءة والوقف اللذين يخدمان هذا الحكم الفقهي، أو ذاك، ومن ذلك قوله تعالى في الآية (١٥٨) من سورة البقرة. "إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم". وقد اختلف القراء في هذه الآية، فمنهم من اختار أن يكون تمام الكلام (فلا جناح) ثم يبتدئ فيقول (عليه أن يطوف بهما) لأن الطواف واجب. وقال آخرون: الوقف على (بهما). وقيل التقدير: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، لأن الصحابة كانوا يمتنعون من الطواف بهما لما كان عليهما من الأصنام[٩].

وقد يكون السياق غير اللغوي نابعاً من رؤية القراء أنفسهم ومن صناعتهم، يخدمهم في ذلك سياق الموقف أو الحال، من ذلك قوله تعالى في سورة يوسف الآية (٣٣). "قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه"

قرى بفتح السين في " السجن " على أنه مصدر، ويقرأ "رب" بضم الباء من غير ياء، "والسجن" بكسر السين، والجر على الإضافة، أي صاحب السجن. والتقدير: لقاؤه أو مقاساته[١٠].

وإذا كان سياق الموقف هنا، وهو السجن وما فيه من معاناة ومقاساة، هو ما دفع القراء والنحاة إلى هذا التعدد، فإنهم نهجو النهج نفسه حين قرأوا الآية (٣٠) من السورة نفسها، وهي قوله تعالى "ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم" حيث قرأوا "ما هذا بشراً" بفتح الباء، أي: إنساناً بل هو ملك.

ويقرأ بكسر الباء من الشراء (بشراً) ، أي: لم يحصل هذا بثمن. ويجوز أن يكون مصدراً في موضع المفعول، أي بمشتري[١١].

وفي القراءتين الأخيرتين عود إلى سياق غير لغوي، ألا وهو حكاية شراء يوسف من السيارة. وهذا هو المحدد السياقي الوحيد لهاتين القراءتين، حيث لا توجد محددات لغوية لهذا التركيب.

وإذا كانت الآيات السابقة تمزج بين الرؤية الخاصة للقراء والنحاة، وسياق الموقف كعاملين مؤثرين في توجيه القراءة والمعنى، فإن السياق غير اللغوي قد ينحصر في منطق النحاة والقراء، لكون هذا المنطق وحده هو العامل المؤثر، من ذلك تعدد قراءات قوله تعالى الآية ٢٥٣ من سورة البقرة " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ".

فمنهم من قرأ " كَلَّمَ اللهَ " ومنهم من قرأ "كلم اللهُ"[١٢]. فتوجيه القراءة والنحو والمعنى يعود إلى منطق القراء والنحاة أنفسهم، لا إلى التركيب حيث إن التركيب ثابت، ومن ثم كان من المتوقع ثبات القراءة والتوجيه، ولكن منطق القراء والنحاة أبى إلا أن يتعدد ويتطابق مع رؤيتهم وفلسفتهم، وهي تعد من العوامل الخارجية على التركيب وتؤثر فيه ليكون ناقلاً لهذه الجدلية العقلية وحدها.

٢- النحو والجماعة اللغوية:

لقد كان المسموع من لغة العرب - التي عدها النحاة قياساً لقواعدهم - نتاج مجتمع حكمته سياقات غير لغوية، تعددت وتغيرت وفق ظروف معينة ومراحل زمنية متعاقبة.

فقد عاش العرب قبل الإسلام ولغتهم محكومين بظروف ثقافية وحضارية واجتماعية ونفسية.. الخ محددة، ثم تغيرت هذه السياقات غير اللغوية، أو بمعنى أوضح تبدلت الظروف بظهور الإسلام، وانفتاح العرب على غيرهم من المجتمعات والحضارات ثم تطلع أبناء العربية إلى الامتزاج بغيرهم، وتغيرت اللغة، وفشا اللحن، وتغيرت السياقات غير اللغوية المصاحبة للأداء اللغوي. ودعت الحاجة إلى ظهور النحاة القادرين على وضع قواعد وأقيسة تقي من الخطأ، واللحن اللذين بدآ يصيبان تلاوة القرآن وفهمه. ويطرح ذلك تساؤلاً يدور حول مدى إدراك هؤلاء الذين أصابهم هذا التغير اللغوي السلبي أنهم يخطئون، وهل كانوا بحاجة إلى هذه القواعد والأقيسة ليتواصل بعضهم مع بعض؟ أو هل أصاب هذه الجماعات اللغوية الازدواج اللغوي مما أعاق الاتصال فيما بينهم؟ كما يبرز استفهام آخر يتعلق بمفهوم اللحن والخطأ، ويتعلق أيضاً بمجالاتهما. فهل أصاب اللحن البنية الصوتية وحدها؟ أو أصاب البنية الصرفية والبنية التركيبية والمعجم؟

وإذا أخذنا بقول القائل بأن اللحن قد أصاب مجال الأصوات، ومجالات البنية الصرفية والتركيبية والمعجمية[١٣]. فما حظ التفاهم والاتصال فيما بين أفراد هذه الجماعة اللغوية؟ وما مدى احتياجهم إلى قواعد وأقيسة تساعدهم في التعبير عن أفكارهم وأغراضهم على المستوى اللغوي المنطوق؟ أم إن هذه القواعد والأقيسة كانوا في أمس الحاجة إليها للتعامل مع اللغة المكتوبة وفهمها وخاصة تلاوة القرآن

الكريم وتفسيره، والشعر القديم وشروحه؟ ومما لا شك فيه أن التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية.. إلخ تؤثر في الجماعية اللغوية، ومن ثم يصيب لغتها التي تدور على ألسنة أفرادها، ومن ثم يستطيع الفرد أن يتصل بالجماعة وتستطيع الجماعة أن تتواصل مع بعضها بتلك اللغة التي تحمل في طياتها سمات التغير والثبات.

ولقد حصرت الدراسات اللغوية أهدافها - في ضوء الظروف المؤثرة أي السياقات غير اللغوية - في ضبط اللغة، ووضع الأقيسة التي صارت مقاييس وأحكاماً، وما ند عن ذلك فهو الشاذ والنادر أو الذي يحفظ ولا يقاس عليه(١٤).

ولقد أثرت الظروف السياسية في النحاة - أيضاً - حين أشاعوا أن لهجة قريش هي الأفصح "وهذا مقرون بظروف معينة وبمرحلة معينة، في التاريخ الإسلامي حين أصبح السلطان السياسي في يد قريش، فأصبح ما استعملته أجود من غيره، وجودته سببها استعمالها هي له وليس أمراً آخر(١٥).

لقد حدد النحاة السياق الفيزيقي بجمعهم مادتهم، من حيث الزمان، والمكان، والجماعات اللغوية التي يأخذون عنها. " فكان لهم انتقاء من الزمان من امرئ القيس إلى ابن هرمة، وانتقاء في المكان وسط شبه الجزيرة العربية، وانتقاء من قبائل الوسط، قيس، وتميم، وطئ، وهذيل، وبمن تبدى من هذه القبائل دون من تحضر حيث تعد هذه القبائل من أشد القبائل العربية توحشاً وجفاءً وأبعدهم إذعاناً وانتقاداً، وأبعدهم أيضاً اختلاطاً بألسنة الأمم الأخرى "(١٦). ولكنهم لم يفصلوا بين المراحل الزمنية، ولا بين الاختلافات الاجتماعية لتلك الجماعات اللغوية "فالمعروف أن النحاة العرب درسوا لهجات عربية متعددة ليستخرجوا نظاماً نحوياً موحداً، وأنهم فوق ذلك درسوا هذه اللهجات في أطوار متعددة من نموها، ولم يفطنوا إلى ضرورة الفصل

بين مرحلة وأخرى من تطور اللغة..... وأخذوا شواهدهم من فترة لغوية دامت أكثر من خمسة قرون كاملة، واقتصروا في الغالب على الأخذ من قبائل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطئ"[١٧]. وتساقطت منهم السياقات غير اللغوية في كل هذه المراحل الزمنية وكل الجماعات اللغوية التي اعتمدوا عليها.

وإذا كان هذا هو الشائع، إلا أن لا يرسم الصورة كاملة، فقد استعان النحاة ببعض البدو، والعرب الموثوق بهم غير المنتسبين إلى جماعة لغوية من الجماعات السابقة، كما أن النحاة أفادوا من الأشعار المجهولة غير المنسوبة إلى قائليها. ومن الثابت أن " كلام العرب في نظرة النحاة يشمل الشعر والنثر على حد سواء، ولكن ذلك كان من الناحية النظرية، أما من حيث التطبيق فقد رأينا النحاة يحفلون بالشعر إلى درجة ألهتهم أو كادت تلهيهم عما عداه من الكلام. ولقد سبق أن بينا أن للشعر لغته الخاصة التي تسعى إلى تحقيق الغايات الجماعية أول ما تسعى إليه، ولو كان ذلك على حساب عرفية الاستعمال وصحة التركيب بحسب القواعد. فهذه اللغة تتسم بالضرائر الشعرية، كما تتسم بالترخص في القرائن اللفظية"[١٨]، لذا نرى سيبويه يعتمد في كتابه على المصادر التالية:

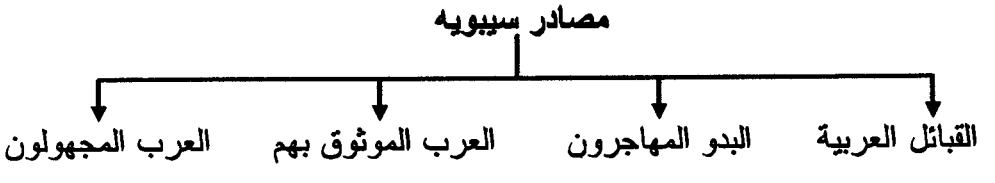

إننا نرى هنا أن سيبويه يقبل أن يقيس اللغة اعتماداً على مصادر أخرى غير المصادر القبلية التقليدية المعروفة، وكثيراً ما نجد سيبويه يقول:

"سمعنا من العرب من يقول، ممن يوثق به"(١٩). "بلغني عن العرب الموثوق بهم"(٢٠). "هذا كله سمع من العرب"(٢١). وحدثنا يونس أنه سمع من العرب من يقول"(٢٢).

واعتمد سيبويه أيضاً – في الشواهد الشعرية – على أشعار شعراء معروفين، وأشعار شعراء مجهولين:

مصادر الشواهد الشعرية عند سيبويه

أشعار الشعراء المعروفين

أشعار الشعراء المجهولين

وهذا كله يعني مستويات لغوية متعددة يحاول النحاة استخراج أقيستهم من خلالها، ومن ثم صاحبتها جميعاً سياقات غير لغوية، كانت هي المحك في استخدام هذه التراكيب، وتحديد وظائفها.

ولم يتعرض النحاة – كثيراً في تحليلهم – لمعنى الجملة "في عمومه لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات، والنفي، والشرط، والتأكيد، والاستفهام، والتمني الخ، ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تتبنى على سياق المقام في تحديد المعنى، وإن كانت تمس ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة"(٢٣).

٣- أهمية السياق غير اللغوي:

إن البحث في السياق غير اللغوي، والإفادة منه في الدراسة النحوية يساعد علي تخطي الصعوبات التي يواجهها المنهج المعياري، وتنحصر هذه الصعوبات في:

" ١- العمق المحدود والسطحي للبنية العميقة.

٢- الابتعاد عن الدقة في فرضية كاتز وبوستال.

وهذا ما دفع تشومسكي لأن يعدل منهجه المعياري لعام ١٩٦٥ من خلال وضع فرضيات لسانية عدة "[٢٤].

ولم يكن تشومسكي في عام ١٩٧١ راضياً مرة أخرى عن المنهج المعياري وذلك لأن هناك بعض المشكلات الأخرى، التي لم يستطع أن يعالجها ذلك المنهج ويمكن تلخيص هذه المشكلات بما يلي:

١- لم يستطع المنهج المعياري أن يشرح البنية الدلالية للتعابير التي تدل على الاهتمام والعناية والقصد.

٢- لم يستطع المنهج المعياري أن يفسر البنية العميقة[٢٥].

إن السياق غير اللغوي يكسب الصفات والمصادر الدلالة الزمنية حيث إن "الصفات والمصادر ليس لها دلالة صرفية على الزمن كما يدل الفعل، أي أن النظام الزمني في الصرف يأخذ في اعتباره الأفعال دون الصفات أو المصادر. أما في الاستعمال حيث يكون النص مسرح القرائن، فإن القرائن الحالية والمقالية تضيف إلى الصفات والمصادر معاني جديدة لم تكن في الصرف.

وكما تؤدي القرينة المقالية دورها في تحديد الزمن بواسطة استخدام الظروف الزمانية، مثلاً تلعب القرينة الحالية دوراً مشابهاً في تحديد الزمن أيضاً بواسطة المعلومات الخارجية المستمدة من التاريخ أو الجغرافيا أو نحوهما[٢٦].

كما أن السياق غير اللغوي يخرج النحو من "الدائرة السلبية المحصورة في الإعراب والبناء مما يتيح الفرصة لكشف فاعلية النحو في توضيح النص وتفسيره واستخراج طاقاته"[٢٧].

ومما لا شك فيه أن السياق غير اللغوي يجعل التراكيب مفهومة، كما يحدد القيم الخلافية، ويزيل التناقض الظاهري لبعض التراكيب. كما يفسر السياق غير اللغوي الاختلافات التي لا تعليل لها إلا بالنظر إلى سياقاتها غير اللغوية. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أهمية هذه الجوانب غير اللغوية في توجيه التركيب الواحد الذي تتعدد تأويلاته النحوية. إن السياق غير اللغوي يعد من أهم قياسات الصحة اللغوية، حيث لا يمكن القول بصحة الجملة من حيث السياق اللغوي دون مطابقتها للسياق غير اللغوي، أي الظروف المحيطة بالجماعة. لقد كان سيبويه "يعد الموقف الكلامي بملابساته كلاً واحداً، فيغتفر حذف أحد العناصر من الجملة، إذا كان في سياقها الكلامي دليل عليه، ويبلغ سيبويه من اعتبار موقف الاستعمال أن يجعله فيصلاً في الحكم بصحة التراكيب النحوية وخطئها، ومن ذلك أننا نراه يقف إلى الجملة الواحدة فيحكم عليها في موقف من الاستعمال بأنها خطأ، وفي موقف من الاستعمال آخر بأنها صواب"(٢٨).

وقد أشار ابن جني في (باب شجاعة العربية) إلى أهمية السياق غير اللغوي في معالجة الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف(٢٩). ويذكر ابن جني صراحة أن العرب قد حذفت الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلا عن دليل يدل عليه، وكذلك حذفت الصلة إذا دلت الحال عليها(٣٠).

إن التغير اللغوي في جماعة ما يخضع بالضرورة للظروف – غير اللغوية – التي تمر بها هذه الجماعة، "وتتغير هذه الظروف من جيل إلى جيل، ولذلك يموت الجيل القديم بأكمله، ولا تبقى غير الصيغ اللغوية التي يستخدمها أحدث الأجيال سناً، وهذه الصيغ والتراكيب لا يمكن فهمها إلا في ضوء السياق غير اللغوي المصاحب

لها"[٣١]. وقد أدرك بعض الدارسين أن معرفة كم من المعلومات الاجتماعية أمراً ضرورياً لتجنب التصورات الخاطئة بأن اللغات أنظمة محكمة كاملة من القواعد مغلقة على ذاتها[٣٢]. وقد انتقلت تلك الفرضية إلى مجال الأحكام الخاصة بالنحوية Grammaticality، وأحكام التكوين Well – Formedness ودرجة القبول Acceptability حيث إنها لا تعكس خصائص تراكيب بعينها فحسب بل تعكس أيضاً الخلفية الاجتماعية[٣٣]. ولا يمكن أن تكون الجملة صحيحة من حيث السياق اللغوي دون أن تكون لها صحتها في سياقها غير اللغوي، أو بمعنى آخر دون مطابقة التراكيب اللغوية للمصاحبات السياقية غير اللغوية. لذا فإن السياق غير اللغوي يعالج ظاهرة الاتساع في الكلام النابعة من الظروف والأحوال الاجتماعية، وغيرها للجماعة اللغوية، بل إن الأمور العارضة التي تمر على هذه الجماعة أو تلك وتؤثر فيها يمكن أن تعد – هي نفسها – المفسر لتغير السياقات اللغوية، واتساع مجالها الدلالي النحوي.

وقد تعرض كتاب سيبويه لمصطلح اتساع الكلام "ويمثل له سيبويه بأمثلة مختلفة يفهم منها أن هذا المصطلح له مدلول واسع، وتحت اتساع الكلام هذا يندرج ما وصف به الشاطبي كتاب سيبويه بأنه تناول مقاصد العرب ونبه عليها، وأن سيبويه وإن تكلم في النحو، فقد امتد كلامه إلى أنحاء تصرف العرب في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب، ونحو ذلك، بل إنه كان يبين في كل باب ما يليق به"[٣٤].

٤ – السياق غير اللغوي الصوت والأداء :

كما أن السياق غير اللغوي يحل إشكالية الجمل الملبسة، في شكليها المنطوق والمكتوب، ذلك لأن الجمل المنطوقة ينطقها المتكلم بأداء صوتي مميز مفهم

للمخاطب على وجه مخصوص ما يريد أن ينقله المتكلم إليه " فالجمل ليست خطاً أفقياً من كلمات متتابعة، وإنما هي نسق منظوم على نحو مخصوص. ويتوقف فهمنا للتراكيب، في شطر كبير منه، على هيئة نظم الكلام ذلك لأن كثيراً من الجمل الملبسة التي تحتمل الواحدة منها معنيين أو أكثر إنما يرجع اللبس فيه إلى هيئة النظم وسمته.

فإذا قلت: انتظرني عند باب المتحف الجديد، احتملت الجملة معنيين:

- أن يكون (الجديد) صفة لـ (باب) وإذن الباب الجديد للمتحف. أو أن يكون (الجديد) صفة لـ (المتحف)، وإذن يكون المعنى: باب للمتحف الجديد. فإذا أردنا المعنى الأول جئنا بهيئة النظم على هذه الصورة: **انتظرني عند باب المتحف/ الجديد.** وإذا أردنا المعنى الثاني جئنا بهيئة النظم على هذا النحو: **انتظرني عند باب/ المتحف الجديد.**

وواضح أن حركات الإعراب وغيرها من القرائن لا تسعف هنا نفي نفس اللبس، ذلك أن (باب) و(المتحف) كليهما وردا مجرورين. ولو اختلفت حركة إعرابها مثلاً لتعينت الصفة لأحدها وفقاً لحركة الإعراب"[٣٥].

وعلى الرغم من الاعتراف باللبس الذي يكون في الجملة عند قراءتها لأول وهلة، إلا أن هذا اللبس غير منطقي، وغير مقبول إذا ألقينا عليه الضوء من الناحية السياقية غير اللغوية، فلا يمكن لمتكلم أن يوجه حديثه أو فكرته إلى مخاطب خالي الذهن، غافل لا يعرف المكان المتحدث عنه، ومن ثم أصبح الاتصال اللغوي مقطوعاً، وكل منهما منعزلاً عن الآخر، وسيظل الثاني بحاجة إلى محددات سياقية لغوية، أو غير لغوية تعينه على فهم المقصود، وتعيين المراد. ففي حالة الجملة الأولى من حيث السياق اللغوي كلمة المتحف المحددة بال التعريف تشير إلى أن كلاً

من المتكلم والمخاطب يعرفه، ومن ثم لا يحتاج المتكلم إلى إضافة أي وصف آخر إلى المتحف لتحديده، فالافتراض العقلي علي وجود معنيين قائم، ولكن الافتراض السياقي غير اللغوي يرفض ذلك، بل ويمنعه البتة من وجه النمط اللغوي المسموع أو النمط اللغوي المكتوب. نعم إن الأداء الصوتي للجمل ونظمها يؤديان إلى الإفهام، ولكن في حالة المثال الثاني الذي خرجه نهاد الموسى على زعم أنه من الجمل الملبسة وهي "إذا قلت: طلبت إليه أن يمر صباحاً، واحتمال أن يكون لهذا التركيب معنيين هما:

إن صباحاً هو ظرف زمان موضح لزمن الطلب، أو أن صباحاً ظرف زمان للمرور فإننا نقول إن التركيب يشي بأن هناك ثلاثة مشتركين هم:

المتكلم – المخاطب – الغائب

المتكلم هو الذي قال التركيب – المخاطب وهو الموجه إليه التركيب، ثم الغائب وهو المتحدث عنه، والمفهوم من طلبت إليه.

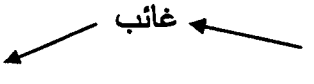

متكلم ..... مخاطب

فالمتكلم يدير حواراً لمخاطب عن غائب، فلابد للمخاطب أيضاً أن يكون لديه سياقات غير لغوية يدرك بها من المقصود بـ (إليه)، ومدى علاقته بالمتكلم، كما أن السياق اللغوي يشئ بإنشاء علاقة قوية لدى المتكلم فلا يمكن أن يطلب المتكلم، من شخص أعلى منه مكانة كأن يكون رئيساً له في العمل مثلاً أو شخصاً ذا مكانة أسرية أو اجتماعية أن يمر به. فلابد أن المتكلم والمخاطب كلاهما يشتركان في معرفة السياق الاجتماعي للشخص الغائب المتحدث عنه.

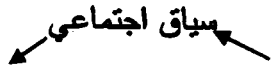

متكلم ..... مخاطب

من هذا يتبين أنه لا يمكن فهم هذا التركيب بمعزل عن السياقات غير اللغوية، فالعلاقة بين المتكلم والمخاطب ليست علاقة مباشرة، إنما هي تمر من خلال طرف ثالث يحكم جدلية التكلم والإفهام وهو السياقات غير اللغوية.

إننا لا يمكن أن نبني تراكيب صحيحة نحوياً لكنها بمعزل عن السياقات الخارجية للمتكلم والمخاطب. وهذا ينطبق أيضاً على من يستخدمون اللغة وفق دلالات أخرى مثل لغة المخابرات، أو اللغة السرية للجيوش، حيث إن كلا الجهتين تستخدمان لغة واضحة وصحيحة نحواً وتركيباً، لكن لهاتين الجهتين فقط، أما المتلقي الغافل عن سياقاتها غير اللغوية فلا يستطيع أن يهتم بحقيقة المراد لها أو منها.

ولقد وعى اللغويون منذ القديم والمفسرون أهمية دراسة السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي لاستنباط الدلالات الحقيقية والمجازية، فدرسوا الجملة وأركانها وأنماطها، والظروف المحيطة بها، وطبقوا ذلك على تفسيرهم للقرآن الكريم وغيره من النصوص. وقد رفضوا أن يكون لمفردات القرآن الكريم دخل في إعجازه، وذهبوا إلى أن إعجازه في نظمه وترتيبه، لذا فقد التفتوا إلى معنى الكلمة في السياق اللغوي ضمن حديثهم عن التركيب، والنظم المعجز للقرآن الكريم وتفسير آياته[٣٦]. ولم يتوقف جهدهم عند هذا الحد بل انطلقوا إلى دراسة الظروف والقرائن الخارجية وهي ما يسمونه Context of situation أو الظروف التي صاحبت إنتاج النص، أو ما يطلق عليه المفسرون مناسبات النزول. فالعرب القدماء لم يغفلوا دراسة السياق غير اللغوي، فقد أشار الجاحظ إلى مناسبة اللغة للمقام على نحو يشبه فكرة سياق الموقف

التي أوردها الإثنوجرافي المعاصر برونسلاف مالينوفسكي، حيث يقرر الجاحظ أن لكل ضرب من الحديث ضرباً من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوعاً من الأسماء، وقد التفت ابن جني إلى أهمية السياق في غير موضع من كتبه(٣٧).

ولعل جهود المسلمين الأوائل ما دفعت بعض المعاصرين إلى القول باستفادة الباحثين الغربيين من التراث الإسلامي، وهكذا يظهر أن اللغويين العرب سبقوا اللغويين الغربيين بزمن طويل.

وتطمح هذه الدراسة إلى النظر إلى النحو وقواعده في ضوء النظرية السياقية وبخاصة السياق غير اللغوي، وهو جانب غالباً ما تغفل عنه الكتب النحوية على الرغم من خطورته وأهميته.

وأنا أحاول التركيز على هذه الأهمية التي لم تنل حقها من البحث والدراسة. حقاً إن سيبويه وعبد القاهر هما من أبرز القدماء عناية بدراسة السياق وأهميته في فهم المعنى وفي فهم التراكيب، إلا أن جل عنايتهما انصرفت إلى السياق اللغوي باعتبار أن عليهم أن ينظروا إلى التحليل النحوي بوصفه طريقاً للوصول إلى التركيب؛ ولكن الاعتبارات العلمية لدراسة هذه المادة تفرض على هذا السياق المركب أن ينحل إلى أصغر مكوناته وعناصره حتى يمكن الوصول إلى الخصائص التحليلية لهذه العناصر. إن النتائج التي يتوصل إليها بواسطة التحليل تحمل في طياتها زعماً اعتباطياً بصدقها واطرادها حتى في السياق، ولكن هذا ليس أكثر من زعم، وكان على النحاة أنفسهم أن يدركوا ذلك وأن يعلموا أن هذا الزعم لا مبرر له إلا الاعتبارات العلمية البحتة، وأن نتائج النظر إلى السياق تفرض عناصر جديدة على المكونات التحليلية هي حلول لما قد يكون بين النظام وبين السياق من تضارب، أو هي بعبارة أخرى معالم سياقية، أو ظواهر موقعية لا وجود لها إلا في السياق

المنطوق وبسببه. وإذا كان أ.د تمام حسان قد نبه في كتابيه (اللغة العربية معناها ومبناها) و(الأصول) إلى ضرورة أن يشتمل المنهج النحوي على مطلبين:

الأول: ما يسميه مطالب التحليل، **والثاني:** مطالب التركيب، إلا أنه لم يركز على السياق غير اللغوي، حيث إنه تناول التركيب باعتباره وظيفة وكلما تعددت الوظائف تعددت التراكيب. لقد كان أغلب تركيزه على المعاني النحوية التي هي وظيفة المباني.

لقد تناول أ.د تمام حسان بالإفاضة الحديث عن القرائن وعددها: قرائن لفظية، ومعنوية، وحالية باعتبار أن المعنى الوظيفي للمبني الواحد من التعدد والاحتمال يجعل الناظر في النص دائماً وراء هذه القرائن، ومن ثم نرى التفاضل بين المعربين للجملة الواحدة.

وبعامة فإن دراستنا هنا تختلف وتتسع عما سبق، حيث إنها تتضمن ما تناوله أ.د تمام حسان عن الوظيفة والمعنى، وتعدد الإعراب لتعدد التعلق، وتتناول الأبواب النحوية وفق السياق غير اللغوي في محاولة لجعله آلية لفهم المعنى النحوي، ومقياساً من المقاييس الصالحة لتصنيف النحو العربي على ضربين:

الأول: ما يخضع للسياق اللغوي.

الثاني: ما يخضع للسياق غير اللغوي.

وفي الحقيقة، إنني أرى أن ما فعله النحاة العرب جهدًا، رائعًا، ضخمًا، ودقيق حيث إن السياق غير اللغوي متعدد بحسب حال المتكلم والسامع والظروف المحيطة من زمان ومكان ومجتمع..إلخ، ومن ثم كلما تنوع السياق غير اللغوي Context of situation تنوع السياق اللغوي.

لذا يمكن لك أن تتخيل المجتمع العربي في تنوع بيئاته، وقبائله، من بدو وحضر، واختلاف ثقافاتهم وظروفهم الحضارية، واحتكاكهم بغيرهم من المدنيات المجاورة!

لقد حرص النحاة واللغويون العرب على تقييد من يأخذون عنهم من حيث الزمان، والقبائل التي يأخذون عنها وهم قبائل قيس، وتميم، وأسد.

إن هذا التقييد والتقعيد في الأخذ إنما هو في الحقيقة محاولة علمية ممتازة تخدم ما رسموه لأنفسهم من أهداف، ولعلهم أرادوا ليس ضبط اللغة وحدها وإنما أيضاً ضبط وتقعيد السياقات غير اللغوية، حيث إن الدافع الأول لنشأة النحو العربي هو ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ. لذا اتسم النحو العربي جملته بسمة النحو التعليمي أي: نحواً معيارياً لا نحواً وصفياً.

إن التراث النحوي وصلنا مكتوباً، ففقد بذلك عنصر السياق غير اللغوي، أو ما يسميه أ.د تمام حسان (المقام الاجتماعي)، ولذلك أصبح لزاماً قبل إيراد أي نص أدبي استعادة هذا المقام بوصف الأحداث. وإن الحاجة نفسها لتدعونا إلى تأمل النحو في ضوء السياق غير اللغوي. كما أن العرب في القديم لم يكن لديهم نظام للترقيم كالذي نعرفه الآن. لقد كانت اللغة العربية الفصحى ككل لغات العالم ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالاً على التعليق بالنغمة، فكان من الممكن مثلاً أن نفهم معنى الدعاء من قولهم (لا وشفاك الله) بدون الواو اتكالاً على ما في الجملة من تنغيم أو من وقفة واستئناف، ومع ذلك لم يكن ثمة مفر لمن دونوا التراث من الاحتفاظ دائماً بهذه الأدوات بسبب عدم وجود ذلك التنغيم أو الترقيم في الكتابة، فكان لابد من ضمان أمن اللبس في المعنى بواسطة إطراد ذكر هذه الأدوات.

كما تبرز الحاجة أيضاً إلى ضرورة النظر إلى المعنى اللغوي في ضوء السياق غير اللغوي حيث إن الحركات الإعرابية قد لا تمكن من الفهم لأن هناك الإعراب بالحذف، والإعراب المقدر.. إلخ، كما إن الحركة الواحدة تدل على أكثر من باب واحد.

كما أن الاعتماد على القرائن المقالية معنوية كانت أو لفظية - كما يطلق أ.د تمام حسان (أي السياق اللغوي وحده) لا يمكن أيضاً من إدراك الفهم الحقيقي للمعنى النحوي خاصة في بعض حالات الحذف، ومخالفة العلامة الإعرابية لما قبلها. ولا سبيل لنا إلا بتحليل هذه الحالات في إطار السياق غير اللغوي. إن أ.د تمام حسان يحل هذه المشكلة في ضوء القرائن المعنوية، والتبعية، والمجاورة دون النظر إلى السياق غير اللغوي.

ويقوم البحث على اختيار التراكيب التي لا نلمح لها أي سند من السياق اللغوي أومن الفهم والتحليل، الذي يعتمد على الأدلة اللغوية أو قواعد النحاة.

فهذه التراكيب يقف السياق غير اللغوي وحده كأساس للتحليل وقاعدة للفهم. وقد حاولت الدراسة قدر الإمكان أن تستبعد ما أمكن للسياق اللغوي أن يفك شفرته ويحلل عناصره.

كما أن البحث يتسع ليشمل السياقات الاجتماعية والثقافية وغيرها، ولا يقتصر الجهد على سياق الموقف أو الحال، وبذا تتكامل دوائر السياق غير اللغوي.

إن من الثابت أن القبائل العربية متنوعة في قبائلها، وثقافتها الاجتماعية، وظروفها الاقتصادية، وتطلعاتها وآمالها ومشكلاتها مع جيرانها. كما تتنوع أهدافها التي تبغي تحقيقها، وتبرز أيضاً الهوية الخاصة لكل قبيلة بما تحمله من سمات وخصائص.

وتتوزع السياقات غير اللغوية على سياقات غير لغوية رئيسة أو عامة وتضمن:

١) سياق الحال أو الموقف.
٢) السياق الاجتماعي.
٣) السياق الطبيعي.
٤) السياق الثقافي.
٥) السياق المنطقي للنحاة. (منطق النحاة)
٦) سياق تنوع الروايات واختلافها.
٧) سياق الإبداع الشعري.
٨) سياق الصفات الجسمية.
٩) السياق النفسي والعاطفي.
١٠) سياق النية والقصد.

أولاً سياق الموقف أو الحال :

ونعني به الموقف الفعلي الذي يظهر فيه الكلام، والظروف المحيطة بالمتكلم والمتلقي (السامع)، والملابسات التي تجمع بينهما، مما يجعل الكلام بينهما مفهوماً، وتبادل الخطاب ممكناً. ولا يكاد يخلو أي خطاب لغوي من سياق الموقف، الذي يعد عنصراً فاعلاً في فك شفرته، وإتمام تتابعه، أو إنهائه. وإذا ما حاولنا تطبيق ذلك على النحو، نجد أن سياق الموقف يؤدي دوراً رئيساً في فهم الحذف، وتحديد المحذوف، ولولا ذلك السياق لظلت الشفرة - على مستوى المعنى والمبنى - مستعصية على الحل والفهم، ولتوقفت المتابعات العقلية بين المتكلمين والمخاطبين سواء أكان النص شفاهياً أم مكتوباً.

ويتنوع سياق الموقف إلى عناصر سياقية فرعية، تتوزع على ما يلي:

أ- سياق الموقف الذي يتعلق بالحواس.

ب-سياق الموقف الذي يتعلق بالعلاقة بين المتكلم والسامع أو الصلة بينهما.

ج-سياق الموقف الذي يتعلق بالمعرفة الذهنية.

د-سياق الموقف الذي يتعلق بعلاقات العموم والخصوص.

ه-سياق الموقف الذي يتعلق بالإيجاز والسرعة.

و-سياق الموقف الذي يتعلق بالوصف.

أ- سياق الموقف الذي يتعلق بالحواس :

وهذا السياق يرتبط بالحواس التالية: (البصر والرؤية - والسمع - والشم - واللمس والذوق). وهي حواس ترتبط بالمتكلم الذي يشاركه السامع في الحدث والكلام، وهذه الحواس تؤدي دوراً هاماً في فهم القواعد النحوية، وبخاصة ذات الصلة بالحذف، ومن الأمثلة المهمة الدالة على ذلك، ما أورده سيبويه في باب (هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً، ويكون المبني عليه مظهراً)، حيث يقول سيبويه مفسراً - حذف المبتدأ - بالاستناد على سياق الموقف الذي يتعلق بالحواس، وهو المعين هنا على فك شفرة الحذف: (وذلك أنك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله أو سمعت صوتاً، فعرفت صاحب الصوت، فصار آية لك على معرفته، فقلت: زيد وربي. أو مسست جسدًا، أو شممت ريحاً، فقلت: زيدُ أو المسك. أو ذقت طعاماً فقلت: العسلُ[٣٨].

فهنا يقرر سيبويه صراحة أن الحواس وما يتعلق بها، تعد من العناصر السياقية غير اللغوية - أو بمعنى آخر سياق الموقف الذي يتعلق بالحواس - يؤدي

إلى الكشف عن أسباب الحذف، وتعليله، ولولا هذا الوعي بوظيفة هذه الحواس في إكمال المعنى لدى المتكلم ثم نقل هذا المعنى إلى المتلقي، الذي لا يحتاج مزيداً من الإيضاح حيث امتزج التركيب اللغوي بما نقلته الحواس، ومن ثم تكاملت الرسالة اللغوية. فالحواس المصاحبة للحدث الكلامي للمتكلم ومن ثم التراكيب اللغوية، هي نفسها المصاحبة للحدث نفسه عند استماع المتلقي له. فالرابط الاتصالي الذي يفك الشفرة اللغوية إنما هو الحواس.

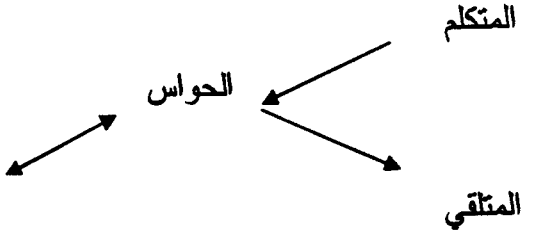

وتؤثر هذه العناصر السياقية التي تتعلق بالحواس في الإعراب أيضاً، ومن أمثلة ذلك "في الاسم المحكي بمن، نحو قولك:..... ومن زيداً ؟ لمن قال: رأيت زيداً"(٣٩).

ب- سياق الموقف الذي يتعلق بالعلاقة بين المتكلم والسامع أو الصلة بينهما :

ولهذا السياق غير اللغوي أهمية في الترتيب داخل التركيب، من ذلك الترتيب – علي سبيل المثال – في الجملة الاسمية بين المبتدأ والخبر "وإذا اجتمع في هذا الباب اسمان، فلا يخلو أن يكونا معرفتين أو نكرتين، أو أحدهما معرفة والآخر نكرة، فإن كانا معرفتين جعلت الذي تقدر أن المخاطب يعلمه مبتدأ، والذي تقدر أن المخاطب يجهله خبراً، وذلك نحو قولك: زيد أخو عمرو، إذا قدرت أن المخاطب يعلم زيداً، ويجهل أنه أخو عمرو، فإن قدرت أن المخاطب يعلم أخا عمرو، ويجهل

أنه مسمى بزيد قلت: أخو عمرو زيدٌ، ذلك أن المستفاد عند المخاطب إنما هو ما كان يجهله، والخير هو محل الفائدة، فلذلك جعلت الخبر هو المجهول منهما(٤٠).

فهذه المعرفة (للمتكلم والسامع) التي تقوم على التركيب الاسمي المكون من المبتدأ والخبر تعتمد في أساسها على العلاقة بين المتكلم والمخاطب، لا العلاقة اللغوية داخل التركيب، فالألفاظ وترتيبها لا دخل لها في حتمية أن يكون أي الطرفين مبتدأ وخبر، حيث يستوي أن يكون الأول مبتدأ زيد، ويكون الثاني خبر أخو عمرو، أو أن يكون الثاني مبتدأ والأول خبر، فيصير التركيب أخو عمرو زيدٌ.

إن العنصر الفارق بين هذين التركيبين في تلك الرسالة التي يريد المتكلم أن يظهرها، إنما هي العلاقة التي تجمع بين المتكلم والمخاطب وفي ضوء تلك العلاقات، والمتاحات المعرفية بينهما يتم تحديد التركيب وأركانه.

ولذلك نجد سيبويه يوضح أثر تلك العلاقة وأثرها في التركيب، فيقول: "ولو حدثت عن شمائل رجل، فصار آية لك على معرفته، لقلت: عبد الله. كأن رجلاً قال: مررت برجل راحم للمساكين، بار بوالديه، فقلت: فلانٌ والله"(٤١).

على هذا النحو تتحدد العلاقات الداخلة في التركيب من خلال العلاقة والصلة التي تجمع بين المتكلمين والمخاطبين وهي العلاقة الحاسمة للأنماط التركيبية التي تتخذ شكلها المحدد من خلال السياق اللغوي.

ح- سياق الموقف الذي يتعلق بالمعرفة الذهنية:

وهذا السياق يعني أن يكون لدى المتلقي معلومات مسبقة عما يتحدث عنه المتكلم، وهذا الإعلان المسبق ينافي جهل السامع، فكلاهما سيؤدي دوراً مخالفاً للآخر في التركيب، فإذا كان الأول يبيح الحذف والتقديم والتأخير، فإن الثاني (جهل

السامع) يستلزم مراعاة اكتمال التركيب، والترتيب بين عناصره المكونة له ومن ذلك قول ابن مالك:

وحـــذف مـــا يعلـــم جـــائز كمـــا تقول "زيدٌ" بعد "مـــن عنـــدكما"؟

وفي جواب "كيف زيد؟" قل "دنـــف" فزيد استُغنى عنه إذا عرف(٤٢).

وقد علل النحاة الحذف بما أسموه (الدليل) دون تعيين له، ربما لفهمهـــم إلـــى تنوع الأدلة بتنوع المتكلمين والمخاطبين، والظروف المحيطة بهم، إلا أنهـــم بينـــوا وظيفة الدليل تحت مسمى (الجواز والوجوب)، "يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل: جوازاً أو وجوباً، فذكر في هذين البيتين الحذف جـــوازاً، فمثـــال حـــذف الخبر أن يقال: من عندكما؟ فتقول: زيد، والتقدير: زيد عندنا"(٤٣).

ولقد كان هذا الوعي هو المفسر لعدم اكتمال التركيب في الشعر من ذلك قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلـــف(٤٤).

فإذا أخذنا التركيب الأول بمعزل عن النص هكذا (نحن بما عندنا) لـــم نفهـــم شيئاً، لغياب سياق الموقف المتعلق بالمعرفة الذهنية، أما إذا رددناه إلى علاقة ذهنية سابقة أو لاحقة، فإننا يمكننا فهم التركيب، وعلى هذا أدخل النحاة التقدير، نحن بمـــا عندنا راضون، اعتماداً على ما هو لاحق. وقد علل النحاة الحذف بعلة الاختصـــار، حيث توجد إشارة في خبر المبتدأ الثاني، وهي (راضٍ) على ذلك، وهـــذا يعنـــي أن المعرفة الذهنية يمكن أن تأتي من لاحق لا من سابق، ولكن النحاة لا يذكرون شـــيئاً

عن سياق الموقف الذي يتعلق بالمعرفة الذهنية، ويكتفون بـذكر التقـدير وتفسـير الشاهد بما يرون من علل تخدم أقيستهم في المقام الأول.

وقد يعتمد سياق الموقف المتعلق بالمعرفة الذهنيـة علـى المعرفـة العامـة المأخوذة من الواقع أو التجارب المكتسبة، أو المأخوذة من فحوى الرسالة المطـابق لما سبق ومن ذلك قوله تعالى: "من عمل صـالحاً فلنفسـه، ومـن أسـاء فعليهـا" فالمحذوف هنا معلوم بالضرورة، بحكم الواقع الديني، الذي يتفـق مـع الاتجاهـات المعرفية للحياة السوية لمفهوم العدل، ومن هنا يأتي تأويل المحـذوف : مـن عمـل صالحاً فعمله لنفسه، ومن أساء فإساءته عليه.

وهذه المعرفة العامة يكون لها أثرها في الحذف الواجب أيضاً، وقـد ناقشـها النحويون في حذف الخبر بعد لولا، تحت ما أسموه "بالكون المطلق" لذا فإن للنحـاة ثلاثة اتجاهات تدور حول هذا، " فالحذف بعد لولا واجب إلا قليلاً، هو طريقة لبعض النحويين. والطريقة الثانية: إن الحذف واجب دائماً، وأن ما ورد من ذلك بغير حذف في الظاهر – مؤول. والطريقة الثالثة: أن الخبر: إما أن يكون كوناً مطلقاً، أو كونـاً مقيداً، فإن كان كوناً مطلقاً وجب حذفه، نحو: لولا زيد، لكان كـذا أي: لـولا زيـد موجود. وإن كان كوناً مقيداً، فإما أن يدل عليه دليل أو لا، فإن لم يدل عليـه دليـل وجب ذكره، نحو: لولا زيد محسن إلي ما أتيت، وإن دل عليه دليـل جـاز إثباتـه وحذفه، نحو أن يقال: هل زيد محسن إليك؟ فتقول لولا زيد لهلكت – أي لـولا زيـد محسن إلى، فإن شئت حذفت الخبر، وإن شئت أثبته "[٤٥].

ومن المعرفة الذهنية العامة كون الألفاظ مستخدمة في سياقات موقفية خاصة، مما لا يستلزم من المتكلم حذف العناصر الدالة على ذلك من التركيب، ومثال ذلـك حذف الخبر إذا كان المبتدأ نصاً صريحاً في القسم نحو: لعمرك لأفعلن، فمن المعلوم

بالضرورة أن التركيب بدأ بـ (لعمرك) والمعرفة الذهنية العامة تشير إلى استخدام هذا العنصر في القسم، لذا امتنع ذكر الخبر، بل وأدخله النحاة في الحذف الواجب حيث أغنى سياق الموقف المتعلق بالمعرفة الذهنية عن ذكر العنصر الثاني من التركيب وهو الخبر.

وهذه المعرفية الذهنية العامة مرجعها الاستعمال الغالب أو المتكرر في سياق الموقف الذهني المحدد، لذا فإن كان " المبتدأ نصاً في اليمين نحو: لعمرك لأفعلن، فالتقدير: لعمرك قسمي، فعمرك: مبتدأ وقسمي خبره، ولا يجوز التصريح به "(٤٦).

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة المبتدأ والخبر وتأويلهما، لأن هذا ليس هدفنا الرئيس بل الهدف إبراز أن سياق الموقف الذي يتعلق بالمعرفة الذهنية يؤدي دوراً مهماً في التركيب، وتحديد وظيفة العناصر المكونة له.

د – سياق الموقف الذي يتعلق بالعموم والخصوص:

وينقسم هذا السياق إلى قسمين: **الأول:** ما يتعلق بالاتساع مع الإيجاز **والثاني:** ما يتعلق بالدلالة على العموم والخصوص.

الأول: السياق الذي يتعلق بالاتساع والإيجاز:

وهذا السياق يتعلق بكون التركيب يحتوي عناصر لغوية، لا يحتملها التركيب، حيث لا يمكن تفسيرها – أي العناصر اللغوية المكونة للتركيب – إلا من خلال سياق الموقف الذي يتعلق باتساع الكلام أو تضييقه حيث لا رابط بينها في اللفظ أو المعنى، إلا هذا السياق غير اللغوي وحده. وهذا ما أشار إليه سيبويه في باب (استعمال الفعل في اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار) حيث يقول "فمن ذلك أن تقول على قول السائل: كم صيد عليه؟ وكم غير ظرف، لما ذكرت لك من الاتساع والإيجاز، فتقول: صيد عليه يومان.

وإنما المعنى: صيد عليه الوحش في يومين، ولكنه اتسع واختصر. ومن ذلك أن تقول: كم ولد له؟ فيقول: ستون عاماً، فالمعنى ولد له الأولاد، وولد له الولد ستين عاماً ولكنه اتسع وأوجز"(٤٧).

الثاني: سياق الموقف الذي يتعلق بالعموم والخصوص:

ويعني هذا السياق بتفسير التراكيب التي تختلف فيها العلاقات الإعرابية ومن ثم الوظيفة النحوية، رغم ثباتها في اللفظ، والمحافظة على الترتيب في العناصر المكونة للتركيب. وقد ألح سيبويه إلى ذلك السياق إن لم يطلق عليه هذه التسمية - في معرض حديثه في (باب وقوع الأسماء ظروفاً، وتصحيح اللفظ على المعنى). والمعنى هنا يعني سياق الموقف الذي يتعلق بالعموم أو الخصوص، فالحركة الإعرابية للفظ ووظيفته النحوية، ستتغير في التركيب، وفقاً لهذا السياق يقول سيبويه: "من ذلك قولك: متى يسار عليه؟ وهو يجعله ظرفاً فيقول: اليوم أو غداً فيكون ظرفاً. وقد تقول: سير عليه اليوم، فترفع وأنت تعني في بعضه. كما تقول في سعة الكلام: الليلة الهلالُ، وإنما الهلال في بعض الليلة، وإنما أراد الليلة ليلة الهلال(٤٨).

فسياق الموقف الذي يتعلق بالعموم هو المفسر لكون استخدام اللفظ ظرفاً منصوباً، للدلالة على عموم الزمن ومطلقه. بينما سياق الموقف الذي يتعلق بالخصوص هو الذي أباح الرفع لأن موقف الكلام ليس موقف التعميم على الزمن كله أو الظرف(٤٩).

هـ- سياق الموقف الذي يتعلق بالإيجاز والسرعة:

ينقسم هذا السياق إلى نوعين: **الأول:** منهما: ما يتعلق بالإيجاز والاختصار، **والثاني:** ما يتعلق بمواقف سياقية ترتبط بالسرعة.

الأول: سياق الموقف الذي يتعلق بالاختصار والإيجاز: يتعلق بعلاقة طلبية لأمر أو نهي الخ. ويكثر هذا النمط إذا كان ثمة حوار بين المتكلم والمخاطب، وكلاهما على معرفة جيدة بما يدور حوله الجدل، ومن أمثلة ذلك حذف المفعول به مع الفعل الذي يتعدى لمفعول واحد حيث إن "الفعل الذي يتعدى إلى مفعول واحد، يجوز حذف مفعوله حذف الاقتصار أو حذف الاختصار. فحذف الاختصار: الحذف للدلالة على المحذوف، وحذف الاقتصار: الحذف من غير دلالة على المحذوف ولا إرادة له. فمثال حذف الاختصار، أن تقول: ضربت، في جواب من قال: أضربت زيداً؟ فتحذف زيداً..... ومثال حذف الاقتصار، أن تقول: ضربتُ وأكلت. تريد أن هذين الفعلين قد وقعا مني، ولا تخبر بأي شيء وقع، ومنه قوله تعالى: "كلوا واشربوا" أي أوقعوا هذين الفعلين[٥٠]. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ناقشه النحاة في باب (حذف الفضلة)، كحذف المفعول إن لم يضر، كقولك في ضربت زيداً: ضربت بحذف المفعول به، وقولك في أعطيت، زيداً درهماً: أعطيت. ومنه قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى". وأعطيت زيداً، ومنه قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى). وأعطيت درهماً، قيل: ومنه قوله تعالى (حتى يعطوا الجزية) والتقدير – والله أعلم – حتى يعطوكم الجزية[٥١].

النوع الثاني: ما يتعلق بمواقف سياقية ترتبط بالسرعة :

ويفسر هذا السياق التراكيب الموجودة، التي لا تحتوي إلا على لفظ واحد أو لفظين، ومن ثم فإن الزمن النطقي يكون زمناً قصيراً، وملائماً لسياقات الموقف التي يصدر فيها الكلام من قبل موقف الدعاء، أو التوكيد، أو التهكم، أي: مواقف تحتاج تراكيب لغوية قصيرة في تركيبها، سريعة في نطقها تلائم الظروف المحيطة بالمتكلمين والسامعين، وقد ذكر سيبويه مجموعة منها في (باب ما ينصب من

المصادر على إظهار الفعل غير المستعمل إظهاره)، وفي هذا العنوان إشارة إلى استعمال الجماعة اللغوية لهذا اللون من التراكيب، وشيوعه بينهم، وهذا يتناسب مع إيقاع الموقف الذي يتطلب أحياناً الإيجاز، والسرعة فالموقف ليس موقف إخبار أو رواية، بل هو موقف يتسم بالرد المسرع المفيد، والمقيد بظرف خاصة "وذلك قولك: سقياً ورعياً، ونحو قولك: خيبة" ودفراً، وجدعاً وعقراً، وبؤساً وبعدًا، وسحقاً ومن ذلك: تعساً وتعباً وجوعاً"(٥٢).

ومن الملاحظ على هذه الصيغ أنها تعبر عن المواقف التي تحتاج السرعة والبداهة في الرد، كالدعاء، والتهكم، والذم، وغيرها من مواقف مازالت مستخدمة حتى اليوم، ويعلل سيبويه انتصاب المصدر بعلتين :

الأول: إضمار الفعل المحذوف.

الثاني: الإشارة إلى الموقف.

فيقول " وإنما ينتصب هذا، وما أشبهه، إذا ذكر مذكور " فدعوت له أو عليه، على إضمار الفعل، كأنك قلت: سقاك الله سقياً، ورعاك الله رعياً، وخيبك الله خيبة، فكل هذا وما أشبهه على هذا ينتصب(٥٣).

و- سياق الموقف الذي يتعلق بالوصف:

وهذا السياق يستخدم لفك الغموض في الحذف الذي يكون في نوعين من أنواع التراكيب:

١- التركيب الإخباري.

٢- التركيب الطلبي.

ويستخدم لأغراض متعددة من الوصف، فقد يكون حذف المفعول في تركيب إخباري للدلالة على الاحتقار، من مثل قوله تعالى: "كتب الله لأغلبن" أي: الكافرين،

أو الاستهجان، كقول عائشة رضي الله عنها - تقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم - "ما رأيت منه، ولا رأى مني"(٥٤).

ومن ذلك أيضاً الحذف في التركيب الطلبي بعد الاستفهام والنهي، وذلك في باب حذف عامل المصدر وجوباً. "وكذلك يحذف عامل المصدر وجوباً: إذا وقع المصدر بعد الاستفهام المقصود به التوبيخ نحو: أتوانيا وقد علاك المشيبُ؟ أي أتتوانى وقد علاك المشيب؟"(٥٥). فهذه التراكيب رغم تنوعها في الخبر والإنشاء، والغرض منها إلا أن الجامع بينها إنما هو سياق الموقف الذي يتعلق بالوصف، وهو رغبة المتكلم في استمالة السامع أو المخاطب إليه، بالتعبير اللغوي عن طريق هذه التراكيب التي تتلاءم مع هذه السياقات الموقفية، وعن طريقها أمكن للمتكلم والمخاطب الاندماج معاً في الرسالة اللغوية، وأمكن للنحاة من بعد بيان علة الحذف، وفهمه من ناحية، ووضع أقيسة لغوية وغير لغوية تقيد استخدام مثل هذه التراكيب وفق سياقات موقفية محددة.

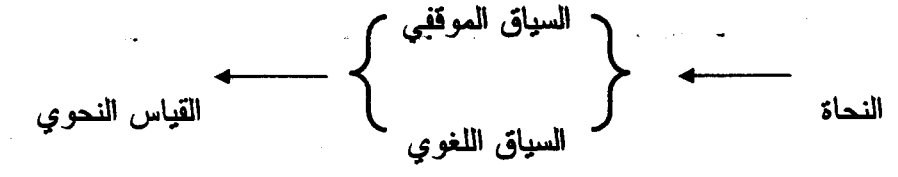

ثانيا: السياق الاجتماعي:

ويعني هذا السياق بإظهار دور القبائل العربية بعدها وحدات اجتماعية كبرى، تشكل الخصائص المتفردة للغة العربية، في ضوء تنوع الجماعات اللغوية المستخدمة إياها.

كما أن الخلفية اللغوية لهذه القبائل، ألقت بسماتها إلي داخل الدرس النحوي منذ أن وعي النحويون واللغويون أهمية أن تقوم الدراسة اللغوية علي جمع النماذج اللغوية التي تعينهم علي تحديد المعايير والأقيسة لبنائهم النحوي واللغوي.

وينقسم هذا السياق إلي قسمين:

أ – السياق الاجتماعي الذي يتعلق بالقبائل العربية.

ب– السياق الاجتماعي الذي يتعلق بالجنس: الذكورة والأنوثة.

أ – السياق الاجتماعي الذي يتعلق بالقبائل العربية:

كان لاختلاف القبائل العربية في لهجاتها، أثره في النحو العربي، حيث لاحظ النحاه. أن العرب لم يستخدموا في بعض الأحيان مستوي لغوياً واحداً، ولم ينشئوا تراكيب لغوية واحدة، بل وجد النحاة أنفسهم أمام مشكلة أخرى، ليس في اختلاف المستويات اللغوية والتراكيب، بل الاختلاف في نطق التركيب الواحد حيث الألفاظ هي هي، إلا أن لكل قبيلة نطقها الخاص، وعلاقتها الإعرابية (نصبا وجراً ورفعاً) التي تشي بالتوجيه الإعرابي، والوظيفة النحوية لعناصر التركيب.

وهذا دعا النحاة إلي ضرورة تسجيل هذه الاختلافات النابعة من اختلاف الجماعات اللغوية القبلية، وحدا بهم إلي ضرورة مراعاة ذلك حين حددوا لأنفسهم أقيسة للقواعد، وحدوداً للصواب والخطأ. فكثير ما نري في القاعدة الواحدة توجيهات مختلفة، وللعناصر المكونة للتركيب وظائف نحوية مختلفة ليست نابعة من السياق اللغوي ومنطق النحاة، بله نابعة من السياق الاجتماعي وأعني القبيلة المأخوذ عنها ذلك السياق اللغوي أو بمعني أدق اللهجة القبلية التي قبل النحاة أنها تكون محكاً للصحة والسلامة.

ومن الملاحظ أن النحاة اعتمدوا علي قبائل معينة من أهمها:

١) أهل الحجاز. ٢) بنو أسد. ٣) بنو الحارث بن كعب. ٤) تميم. ٥) ربيعة.
٦) سليم. ٧) طئ. ٨) عقيل. ٩) كنانه. ١٠) هذيل.

وهذه الأسماء كثيرة الدوران في المصادر النحوية[٥٦] وهي نفسها التي ارتكز عليها النحاة كثيراً في معالجة قضايا الاختلاف في القاعدة النحوية الواحدة. ومن الأمثلة الدالة علي ذلك الاختلاف في بناء (حزام) التي تبني علي الكسر عند الحجازيين ووفق ذلك يقرأ الشاهد التالي كما يلي:

إذا قالت حزامِ فصدقوها فإن القول ما قالت حزامِ

وبنو تميم افترقوا فرقتين، فرقة تابعت الحجازيين في البناء علي الكسر، وفرقة تعرب (حزام) بالضم رفعاً وبالفتح نصباً وجراً، فتقول: جاءتني حزامُ، رأيت حزامَ، مررت بحزام[٥٧]. ومن الخلافات النحوية التي مرجعها لهجات القبائل، الاختلاف حول إعراب "ذو" فطئ تلزم "ذو" البناء وآخرها الواو، رفعاً ونصباً، وجراً، نحو: جاءني ذو قام، ورأيت ذو قام ومررت بذو قام، ومن الشواهد علي ذلك قول منظور بن سحيم الفقعسي:

فإننا كرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذو عندهم ماكفانيا[٥٨]

ومن الاختلافات النحوية الناجمة عن الفوارق اللهجية بين القبائل العربية، الاختلافات حول إعراب المثني والأسماء الستة، حيث استعملت خثعم وهي فخذ من طئ، وكذلك كنانة وبنو الحارث استعملت المثني والأسماء الستة بالألف مطلقاً رفعاً ونصباً وجراً. فتقول: جاء الزيدان كلاهما، ورأيت الزيدان كلاهما، ومررت بالزيدان كلاهما. وكذلك الأسماء الستة ومن الشواهد الدالة علي ذلك:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها[٥٩]

ومن الفروق التي أشار إليها النحاة، ما نقلوه عن بني هذيل في استخدام اسم الموصول (الذين) حيث يقولون في الرفع "اللذون" والذين في النصب والجر، واستشهد النحاة علي ذلك بالبيت التالي:

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا[٦٠]

ومن اللهجات القبلية التي أثرت في القاعدة النحوية في قراءة القرآن الكريم ما نقله سيبويه في (باب ما أجري مجري ليس في بعض المواضع)[٦١] حيث يناقش سيبويه اختلاف بني تميم عن أهل الحجاز في النظر إلي (ما) واستخدامها، فبنو تميم لا يعملونها في شئ، وأهل الحجاز يشبهونها بليس فيقولون: ما عبد الله أخاك، وقد انتقل ذلك إلي القراءات القرآنية، فقد قرئت هذه الآية هكذا "ما هذا بشراً" علي لغة أهل الحجاز، وقرئت "ما هذا بشر" بالرفع علي مذهب بني تميم[٦٢]

ومن الاختلافات القبلية، التي كان لها أثرها وذكرها النحاة في كتبهم، القول باستعمال (لعل) حرف جر، وفق لغة عقيل والشاهد علي ذلك قول الشاعر. :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب[٦٣]

ومن ذلك أيضا استخدام القول استخدام الظن، وهو مذهب قبيله سليم حيث إنها تجري القول مجري الظن في نصب المفعولين مطلقاً. [٦٤]

ب- السياق الاجتماعي المتعلق بالجنس:

من الثابت في علم اللغة الاجتماعي أن هناك فروقاً بين لغة الرجل ولغة المرأة، وهذا بالطبع نابع من اختلاف الجنس، والتربية والثقافة اللتين تعنيان بالتنشئة، ومما لا شك فيه أن هناك أيضا، قواسم مشتركة للجنسين معاً، حيث إنهما ينتميان إلي جماعة لغوية واحدة.

وتثور في الذهن مجموعة من التساؤلات الخاصة بذلك الجانب منها: هل توجد لغة خاصة للمرأة في إطار اللغة العربية؟ وهل توجد قواعد نحوية تحكم هذه اللغة؟.

وواقع الدراسات النحوية يشي لأول وهلة بغياب ذلك، فالنحاة رجال، ولا نعلم أن ثمة امرأة دخلت هذا المجال. ولم يعن كثير من النحاة واللغويين بذكر السمات الخاصة للتراكيب التي تستخدمها المرأة. ولكن الأمل لم يفقد.

ووجدت إشارات قليلة يمكن أن تدخل في حيز الندرة لهذه اللغة الخاصة والنحو الخاص بها، وكانت في أبواب نحوية لا ينتبه إليها البعض كثيراً. لقد كان المظنون أن الحديث عن المذكر والمؤنث سواء في الضمائر أو الأسماء أو تأنيث الفعل يمكن أن يكون غنياً بتلك التراكيب والسمات الخاصة بلغة المرأة، ووجدت إشارتين في مصدرين مختلفين

الإشارة الأولي في: كتاب شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الأشبيلي :

في باب الندبة، حيث يقول "الندبة نداء الميت بما هو منه بسبب. فمثال نداء الميت: يا زيد، وواعمرو، وفيه لغتان: يا زيد، ويا زيداه. وزعم الأخفش أن لحاق هذه العلامة ليست من كلام الرجال وإنما تتكلم بها النساء مع أن النساء يقلن:

يا زيداه ويا زيد، فحصل من هذا أن عدم اللحاق، لأن الرجال لا يلحقونها[٦٥]. ولعل هذا النص يذكرنا بما ورد في الأدب والشعر العربي مثل التي استنجدت بالمعتصم قائلة وامعتصماه، فأنفذ جيشه لملاقاة أعداء الدولة العباسية في الشمال. إن النص السابق يدل دلالة واضحة، أن ثمة تراكيب خاصة للنساء، ولكن النحاة لم يهتموا بإبرازها وكان جل همهم وضع الأقيسة العامة للغة، مهما اختلفت الطبقات والجماعات. أو اختلف الجنس.

أما الإشارة الثانية: فقد وردت في كتاب التوضيح والتكميل في باب (أسماء لازمت النداء) الذي يتناول الصيغ التي لازمت النداء للدلالة علي السب والذم، حيث نجد صيغاً خاصة لسب المرأة دون الرجل، وهذه الصيغ مما يقاس عليها. وقد نص ابن مالك في نظمه، وابن عقيل في شرحه علي وجود هذه الصيغ الخاصة بالنساء :

وقل بعض ما يخص بالندا لؤمان – نومان" كذا واطرادا

في سب الأنثى وزن ياخباثِ والأمر هكذا من الثلاثي

وأشار بقوله: واطرادا في سب الأنثي إلي أنه ينقاس في النداء استعمال فعال مبنيًا علي الكسر في ذم الأنثي وسبها، من كل فعل ثلاثي نحو. "ياخباث – يا فساق – يالكاع"[٦٦]

ومن النص السابق نلاحظ خصوصية الصيغ الخاصة بسب المرأة من حيث الوزن، ومن حيث البناء، وهذا يخالف ما يستخدم في سب الرجال، كما تخالف هذه الصيغ قواعد النداء التي قال بها النحاة من حيث البناء والإعراب، وربما تشجع هاتان الإشارتان استكمال البحث عن سمات لغة المرأة في المصادر النحوية الأخرى.

ثالثا: السياق الطبيعي:

نعني بهذا السياق كل ما يتعلق بالسياق الفيزيائي Physical Context. المحيط بالحدث الكلامي، أو ما يسمي مسرح الكلام Setting الذي يعرف بأنه الموقع المكاني– الزماني للكلام Spatio – Temporal Locatin[٦٧] كما نعني السياق الطبيعي أيضا مفهوماً أكثر اتساعاً من السابق، ليشمل: البيئة، والحياة، والأنشطة، والأحداث المرتبطة بها جميعاً والهدف ليس كما يراه البعض محصوراً في أن هذا السياق يحدد

التعبيرات الإحالية (الضمائر وأسماء الإشارة) والفروق التركيبية لتوجيه الخطاب للمتكلم أو الغائب[٦٨]. بل إن الهدف هو رصد أثر السياق الطبيعي وما يتفرع عنه في القواعد النحوية، وتوجيه التركيب، أو بمعني آخر كيف يمكن أن يكون هذا السياق هو الفاعل في إنتاج الكلام، وتجعله ذا سمات خاصة يعطي للعناصر اللغوية المكونة للتراكيب وظائف نحوية تتفق مع هذا السياق غير اللغوي. كما أن لهذا السياق الطبيعي أهميته، في فهم بعض التراكيب التي تخالف الأقيسة العامة، التي ارتضاها النحاة لتكون أداة قياس الصواب والخطأ. كما أن هذا السياق نفسه يعوض عجز السياق اللغوي -وحده- عن الكشف عن دلالات التراكيب، وتحديد وظائف العناصر اللغوية المكونة لها.

كما أن السياق الطبيعي هو الذي يسهم في إيجاد الرابطة الاتصالية بين المتكلم والمخاطب، حيث يكون معنيا بالمتكلم حين ينشئ الكلام، ومساعداً للسامع لكي يفهم ما يقال، وينفعل به ويستجيب له. لذا يمكن أن يعد السياق الطبيعي هو المثير الذي يدفع المتكلم إلي الانفعال، ثم التعبير باللغة عما استثاره.

وقد استلزم هذا الفهم، والاستقراء لقواعد النحو تقسيم هذا السياق الرئيسي إلي سياقات فرعية هي:

أ) السياق الفرعي المتعلق بالبيئة والحياة.

ب) السياق الفرعي المتعلق بالمكان والزمان.

جـ) السياق الفرعي المتعلق بالتلازم والترتيب.

أ – السياق المتعلق بالبيئة والحياة:

وينقسم هذا السياق الفرعي إلي جزئين :

الأول: ما يتعلق بالبيئة. الثاني: ما يتعلق بالحياة.

١) **ما يتعلق بالبيئة:** ونعني بهذا السياق ما تشتمل عليه البيئة من مجالات متعددة، تتضمن الموجودات والكائنات التي تتعايش معها الجماعة واللغة في بيئة واحدة، وتتعامل معها أو بها. وتعبر عنها بمستويات لغوية وتراكيب متنوعة.وقد كان التعبير اللغوي يخضع لعاملين هامين، أثرا في التراكيب أو العناصر اللغوية المكونة لها، وهذان العاملان هما:

أ- المطابقة والاتفاق مع السياق غير اللغوي المتعلق بالبيئة.

ب- المخالفة.

ومن الأمثلة الدالة علي أثر مطابقة البيئة أو الواقع علي القاعدة النحوية والتركيب ما ورد في باب الحال من مجئ الحال صفة لازمة علي خلاف القياس بوجوب مجئ الحال صفة منتقلة، ومثال ذلك "قولك: ولد زيد أزرق، ألا تري أن الزرق غير منتقل"[٦٩]. إن مخالفة القياس النحوي هنا ليست مستمدة من السياق اللغوي إنما مستمدة من الرغبة في مطابقة الواقع المستمد من البيئة "لأنه قد كان يجوز أن يولد أزرق وغير ذلك"[٧٠]. ومن ذلك أيضا مجئ الحال جامدة، علي خلاف القياس الذي يحتم مجئ الحال مشتقة، وبالنظر إلي أسباب الخلاف ومجالاته، نجد أن السبب كان الرغبة في مطابقة البيئة والواقع، أما المجالات فقد تحددت في مجالات معينة مستمدة من هذه البيئة، من مثل: بيئة معاملات البيع والشراء التي يتعاملون فيها. ومن الأمثلة التي خالفت القياس، وجاءت فيها الحال جامدة، قولهم: بعه مدا بدرهم، فمدا حال جامدة وهي بمعني المشتق، إذ المعني: بعه مسعراً كل مد بدرهم، وأيضا قولهم:

بعته يدا بيد، وهي حال جامدة دالة علي طريقة التفاعل في هذه البيئة. ويؤول النحاة يداً بقولهم مناجزة[٧١]ومن أسباب المخالفة النحوية أيضا الرغبة في استعمال

تشبيهات خاصة مستجلبة من البيئة، لذا أباح النحاة استخدام (أسداً) حال علي الرغم من كونه اسما جامداً نحو: (كر زيد أسداً) ويؤولونه بـ(مشبها) الأسد[٧٢]، ومن الملاحظ أن الحال الجامدة ليست مفتوحة، بل مقيدة من حيث المفهوم، أي استخدام الحال الجامدة المطابقة للبيئة والمستخدمة في الواقع المعاش، ولا تغني عنه الحال المشتقة. ويدل ذلك علي أن مبعث المخالفة للقياس هنا ليس السياق اللغوي، إنما هو السياق الطبيعي القائم علي رغبة الجماعة اللغوية في التعبير عن أمور واقعية تدور في بيئتها.

ويلعب السياق الطبيعي دوراً مهماً في الترتيب الداخلي للعناصر اللغوية المكونة للتركيب، وهو أحياناً يعد المقياس الوحيد للترتيب، أي التقديم والتأخير في التركيب. وقد أطلق النحاة علي هذا النوع من السياق غير اللغوي القرينة المعنوية.

ومن الأمثلة المشهورة علي ذلك. أكل الكمثري موسي[٧٣] فالسياق اللغوي لا يحدد شيئاً وغياب العلامات الإعرابية يجعل العوامل السياقية اللغوية غير قادرة علي تحديد الوظائف النحوية للعناصر اللغوية المكونة للتركيب. والفيصل الوحيد هو (القرينة المعنوية) أي السياق الطبيعي المتعلق بالبيئة.

ولذلك فإن في غياب السياق الطبيعي الذي يحمل العلاقات المنطقية أو القرينة المعنوية، مع عجز السياق اللغوي في الإفصاح عن الوظائف الداخلة في التركيب يلجأ النحاة إلي الأخذ بظاهر السياق اللغوي، دون القول بإباحة التقديم والتأخير ومن أمثلة ذلك قولهم ضرب موسي عيسي[٧٤]

ولا نجد في هذا التركيب قرينة لفظية أو معنوية بخلاف التركيب السابق الذي استمد مرونته في التقديم والتأخير وتحديد الوظائف النحوية من خلال السياق الطبيعي، أو ما يطلق عليه النحاة القرينة المعنوية التي يمكن أن تعبر عن سياقات

غير لغوية متعددة، ولكن ما يعنينا هنا هو إمكانية استخدام المصطلح القديم علي السياق الطبيعي المستمد من مطابقة البيئة والواقع.

ومن الأمثلة الدالة علي أثر مخالفة السياق الطبيعي المتعلق بالبيئة في القاعدة النحوية، ما ذكره النحاة في الاستثناء المقطوع أو الاستثناء المنقطع من مثل: ما قام القوم إلا حماراً: وقد تعين نصب (حماراً) عند جمهور النحاة، ولا يجوز الاتباع[٧٥] من مثل: ما قام القوم إلا زيد، وذلك لا لعلة لغوية قائمة في التركيب، ولكن لعلة راجعة إلي مخالفة السياق الطبيعي حيث إن (الحمار) المستثنى ليس من جنس المستثني منه، لذا ألزمه جمهور النحاة النصب مراعاة لهذه المخالفة للسياق الطبيعي[٧٦]. ومن الأمثلة الدالة أيضاً علي أثر مخالفة السياق الطبيعي المتعلق بالبيئة وما يتصل بها، ما ذكره النحاة من ضرورة نصب الاسم الواقع بعد واو تدل علي المعية، علي الرغم من التشابه بين التركيب اللغوي للعطف، والتركيب اللغوي الذي يحوي مفعولاً معه بعد واو المعية، والفارق بينهما مرجعه إلي السياق غير اللغوي المتعلق بالبيئة، حيث إن التركيب الذي يحوي المفعول معه غالباً ما يتضمن الجمع اللغوي بين مختلفين في السياق غير اللغوي المتعلق بالبيئة والحياة، ولعل نصب (ما) بعد (الواو)، يعد إشارة إلي تلك المخالفة ونفي عدم المطابقة حتى لا يتوهم السامع أن ما قبل الواو وما بعدها ينتميان إلي نسق بيئي وحياة واحدة، لذا كانت مخالفة الواقع يقابلها مخالفة في العلامة الإعرابية من مثل:

سار زيد والنيلَ

سيري والطريقَ مسرعة[٧٧]

فالنحاة وجدوا أن العلاقة التي تجمع بين الاسم الواقع قبل الواو (زيد) و(سيري) ليست علاقة اشتراك حيث إنهما كذلك في الواقع البيئي، مما لا يصح معه إقامة

علاقة العطف، فإنهم أولوها بعلاقة المعية، وعللوا تواجدهما معا في السياق اللغوي، بإرادة الاقتران بين ما قبل الواو، وما بعدها في زمن حصول الحدث[٧٨]. وقد فرق النحاة بين العطف وبين النصب بعد واو المعية علي أساسين هما:

١) السياق اللغوي التركيب.

٢) السياق المتعلق بالبيئة والواقع.

فمثال ما اجتمع فيه هذان التركيبان قولهم: كنت أنا وزيد كالأخوين.

وهذا التركيب يشي بأن الأسم الذي قبل الواو والاسم الذي بعدها، إنما هما عنصران لغويان في تركيب عطفي. كما أن التاء في كنت والضمير المنفصل (أنا)، و (زيد) تنتمي إلي بيئة واحدة أو سياق متعلق بعالم واحد، هو عالم الإنسان، ومن ثم فإن العلاقة هنا قائمة علي العطف، لذا فإنه من الناحية التركيبية النحوية يمكن عطف (زيد) علي المضمر أولي من نصبه لتأويله بالمفعول معه[٧٩] .

٣) السياق المتعلق بالحياة:

ونعني به ما يتعلق بأحداث – مادية أو معنوية- وصفات، ولا نعني به ما يتعلق بأشياء أو كائنات أو موجودات. ولهذا السياق غير اللغوي أهميته وخطره أولاً في قياس الحسن والقبيح من التراكيب. ومن الأمثلة علي ذلك حديث سيبويه عن الإخبار بالنكرة عن النكرة[٨٠] حيث يري أنه يحسن استخدام هذا الأسلوب إذا قدم المتكلم ما يحتاج أن يعلم به المخاطب أو المتلقي من مثل: ما كان أحد مثلك. فقبول هذا التركيب بني علي جانبين:

الأول: إعلام المخاطب بما يريد المتكلم.

الثاني: مطابقة التركيب للسياق المتعلق بالحياة أو ما يتفق مع المنطق الطبيعي.

ويختار سيبويه للتدليل علي صدق رأيه مثالاً أخر لتركيب صحيح من الناحية اللغوية لكنه لا يتفق مع السياق المتعلق بالحياة والمنطق، لذا يدخله في دائرة ما يستنكر ويقبح من مثل :

كان رجل ذاهباً ، وكان رجل عاقلاً

فكلاهما لا يقدمان شيئاً للمتلقي، كان يجهله كما أنهما لا يتفقان مع السياق غير اللغوي المتعلق بالمنطق الطبيعي المستمد من الحياة ويعلل سيبويه ذلك بقوله "ولو قلت كان رجل في قوم عاقلاً لم يحسن لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا عاقل، وأن يكون من قوم فعلى هذا النحو يحسن ويقبح"[٨١].

فالحسن والقبح راجع إلي سياق غير لغوي متعلق بالحياة وبالمنطق الطبيعي السائد في الجماعة اللغوية، وليس راجعاً إلي مطابقة التركيب أو مخالفته لقواعد النحو وسلامة التركيب.

ومن الأمثلة الدالة أيضا علي أثر هذا السياق غير اللغوي المتعلق بالحياة في التركيب، ما ورد في باب حذف الخبر إذا سد حال مسده "حكي الأخفش رحمه الله تعالي: زيد قائماً فزيد مبتدأ والخبر محذوف والتقدير: ثبت قائما، وهذه الحال تصلح أن تكون خبراً، فتقول زيد قائم، فلا يكون الخبر واجب الحذف" بخلاف ضربي العبد مسيئاً فإن الحال فيه لا تصلح أن تكون خبراً عن المبتدأ الذي قبلها، فلا تقول ضربي العبد مسيئ لأن الضرب لا يوصف بالمسئ[٨٢]

ومن الملاحظ أن رفض النحاة لأن تكون كلمة مسئ خبراً ليس مرجعه السياق اللغوي أو التركيب غير اللغوي المتعلق بالحياة، أو بمعني أخر مخالفة التركيب للمنطق الطبيعي المستمد من الحياة.

ب- السياق المتعلق بالمكان والزمان.

يؤدي السياق المتعلق بالمكان والزمان دوراً مهماً في توجيه التركيب، وتحديد العناصر اللغوية التي تعبر عن القرب والبعد في المكان والزمان، وبيان وجهة المتكلم التي يرمي إليها، وقد أبرزت الدراسات اللغوية الحديثة أهمية هذا السياق في ضوء بحث ما يطلق عليه الموقع الزماني المكاني الذي يحدد التعبيرات الإحالية المستخدمة في التركيب.

ومن الثابت أن كل اللغات لديها تعبيرات إحالية تشير إلي الأشياء الداخلية في مسرح الكلام. فهناك تعبيرات إحالية في منطقة المتكلم وتتضمن ضمائر المتكلم وأسماء الإشارة: هذا وهنا. وتعبيرات إحالية أخرى تقع في منطقة السامع وتتضمن ضمائر المخاطب وأسماء الإشارة ذلك وتلك، وإذا كان من المعلوم أن الضمائر تحدد المتكلم والسامع، فإن أسماء الإشارة يكون لها توجيها مكانيا أكثر من التوجيه الزماني[٨٣]. وهذه الرؤية السابقة تكاد تتطابق مع الدراسات النحوية التراثية، حيث

يحدد المكان التعبيرات الإحالية التي ستكون في التركيب ومن ثم فإن الباعث علي وجودها في التركيب، ليس السياق اللغوي إنما هو السياق غير اللغوي، المتعلق بالمكان والزمان، حيث لا توجد ضرورات لغوية أو متاحات لغوية يمكن الركون إليها في اختيارات الاستخدام أو الحذف. ومن أمثلة ذلك ما يرد في باب اسم الإشارة:

وبأولى أشر لجمع مطلقاً والمد أولي، ولدى البعد انطقا
بالكاف حرفاً دون لام، أو معه واللام إن قدمت(ها) ممتنعه

وأشار بقوله: (لدي البعد انطقا بالكاف – إلي آخر البيت إلي أن المشار إليه رتبتان: القرب والبعد، وجميع ما تقدم يشار به إلي القريب (ذي – ذه – ته – ذان تان إلخ) فإذا ما أريد الإشارة إلي البعيد أتي بالكاف وحدها نحو: ذاك، أو الكاف واللام، نحو: ذلك[٨٤]. ومن ذلك أيضا الإشارة الصريحة إلي أن اسم الإشارة يتطابق مع المكان ويتوافق معه فإن كان الموقع المكاني قريبا أو بعيدًا، كان له من التعبيرات الإحالية ما يعبر عن قربه أو بعده

"وبهنا أو ههنا أشر إلي داني المكان وبه الكاف وصلا
في البعد أو بثم فه، أو هنا أو بهنالك انطقن أو هنا"

يشار إلي المكان القريب بهنا..... ويشار إلي البعيد بهناك وهنالك[٨٥] ومن تأمل النصين يتبين الدور الذي يؤديه السياق غير اللغوي الذي يتعلق بالمكان في تحديد العناصر اللغوية الدالة علي المعني المقصود، وهذا كما سبقت الإشارة يتفق مع الدرس اللغوي الحديث.

ولقد انتبه النحويون إلي دور السياق المتعلق بالمكان في توجيه المحددات اللغوية المستخدمة لحروف النداء، حيث إنهم رأوا أن أحرف النداء التي تستخدم في

سياق الموقع المكاني القريب، تختلف عن أحرف النداء التي تستخدم في سياق الموقع المكاني البعيد. وهذا اللمح للنحاة العرب، لم يكد ينتبه إليه الدرس اللغوي الحديث فيما يعرف بـ Spatio Temporal location لذا فإن المنادي "إن كان غير مندوب: فإما أن يكون بعيداً أو في حكم البعيد كالنائم والساهي" فإن كان بعيداً أو في حكمه فله حروف النداء "يا، وأي، وآ، وأيا، وهيا. وإن كان قريبا فله الهمزة نحو: أزيد أقبل "[٨٦].

وقد أثر السياق المتعلق بالمكان في تحديد النحاة وتقسيماتهم النحوية لظرف المكان، وذلك لأن السمات الخاصة بالمكان، كانت هي المحك الرئيسي لاختيار ألفاظ تتطابق مع هذا السياق، بله إن السياق المتعلق بالمكان هو أساس التقسيم، لذا فإن ظرف المكان ينقسم ثلاثة أقسام: مبهم ومختص، ومعدود، فالمبهم ما ليس له أقطار تحصره، ولا نهايات تحيط به، نحو خلفك وقدامه، والمختص ماله أقطار تحصره ونهايات تحيط به نحو: الدار – المسجد. والمعدود ماله مقدرا معلوم من المسافة نحو: ميل – فرسخ – وبريد[٨٧]

أما السياق الذي يتعلق بالزمان فله أهميته في تحديد زمن الرسالة التي ينقلها كلام المخاطب إلي السامع كما أن له دوره في ضبط استقامة هذه الرسالة وفهمها، وقد ناقش سيبويه في باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) استقامة الكلام وقبحه، من خلال لفت الانتباه إلي السياق الذي يتعلق بالزمان، وكيف عبرت عنه العناصر اللغوية في توازن مما يؤدي إلي تحقيق الاستقامة الحسنة للتراكيب من ذلك قوله:

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً[٨٨]. والسياق غير اللغوي الذي يتعلق بالزمان يمكن أن يكشف نقض الكلام، واستحالة قبوله، وذلك إذا تضمن التركيب رغم صحته اللغوية ما يناقض الواقع الزمني، ولا يتفق معه. ومن أمثلة

ذلك ما ذكر سيبويه في الباب نفسه تحت عنوان المحال حيث يقول: " أمـا المحـال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً وسأتيك أمس[٨٩]"

من الملاحظ أن هذين التركيبين يتضمنان عناصر لغوية صحيحة من حيث الموقعية (فعل + فاعل+ مفعول+ ظرف) ومن حيث الاحتواء علي أركان بناء الجملة، إلا أنهما يخالفان السياق الزمني الطبيعي، ومن ثم لا توجد مطابقة بين الزمن المتعارض المتضمن في التركيب وبين السياق غير الغوي المتعلق بالزمن، الذي لا يحتمل هذا التناقض والتعارض من ناحية، ولا يجتمع فيه زمنان من ناحية أخرى. وإذا كان هذا هو الحال في الواقع الفيزيائي فهو نفسه المؤثر في فهم المحال والممكن في السياق اللغوي.

ويؤثر السياق غير اللغوي المتعلق بالزمن في إكساب بعض العناصر اللغوية خصوصية، لا تكون لغيرها، من ذلك حديث النحاة في القسم الخاص بما يعمل عمل ليس وهي أربعة (إن – ما – لا – ولات) يعمل ثلاث منها في كل الجمل دون تقييد بسياق لغوي معين أو سياق غير لغوي. أما (لات) فإنها لا تعمل إلا مع الزمن الذي تدل عليه ألفاظ دالة علي ذلك، ومتطابقة مع سياق غير لغوي متعلق بالزمن، ودليل ذلك تحديد النحاة للسياق الفيزيائي للزمن وهو الزمن المطلق، وللسياق اللغوي المطابق لذلك، فلا تعمل إلا في "الحين بكثرة أو الساعة أو الأوان بقلة"[٩٠]

ومثال ذلك قوله تعالي "كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص "، ومن أمثلة ذلك في الشعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

جـ- السياق المتعلق بالتلازم والترتيب:

ويعني هذا السياق ما كان في الواقع الطبيعي، أو الفيزيائي مختلطاً، أو متلازماً، أو له ترتيباً معيناً. وهذا السياق له أثره في اللغة التي تحاكي هذا الواقع وتعبر عنه، وفي النظام النحوي أيضاً بوصفه النظام المشترك الذي يحدد للمتكلم كيف يعبر، وللسامع كيف يفهم ما سمع، لذا فإن اللغة ونظامها لابد أن يتوافقا مع السياق غير اللغوي والمستمد من الواقع أو مسرح الكلام، ومن ذلك السياق الطبيعي المتعلق بالتلازم والترتيب ويمكن تقسيم هذا السياق إلي ثلاثة أفرع:

١) **ما يتعلق بالخلط.**

٢) **ما يتعلق بالتلازم.**

٣) **ما يتعلق بالترتيب.**

١) **ما يتعلق بالخلط:**

ونعني ما كان في الواقع ممتزجاً بغيره، امتزاجاً مادياً أو حكمياً، أو ما اشتركا في فعل واحد ومن أمثلة ذلك ما ذكره المبرد لتفسير العطف في الآية الكريمة (٤٥) سورة النور.

"والله قد خلق كل دابة من ماء * فمنهم من يمشي علي بطنه * ومنهم من يمشي علي رجلين* ومنهم من يمشي علي أربع * يخلق الله ما يشاء * إن الله علي كل شئ قدير".

ويعلل المبرد عطف من (يمشي علي بطنه)، و(منهم من يمشي علي أربع) وهذا لغير الآدميين، ومنهم من يمشي علي الرجلين وهذا للإنسان بقوله: "إنما جاز هذا لأنه قد خلط مع الآدميين غيرهم" بقوله (والله خلق كل دابة من ماء). وإذا اختلط

المذكوران جري علي أحدهما ما هو للأخر إذا كان في مثل معناه، لان المتكلم يبين به ما في الآخر، وإن كان لفظه مخالفاً، فمن ذلك قول الشاعر:

"شرّاب ألبان وتمر وإقط".

فالتمر والإقط لا يقال فيهما: شربًا، ولكن أدخلهما مع ما يشرب فجري اللفظ واحداً، والمعني أن ذلك يصير إلي بطونهم ومثله.

ياليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً.

لان معني المتقلد: حامل، فلما خلط بينهما جري عليهما واحد(٩١)

ومن الملاحظ أن المبرد عنى الخلط بين الألفاظ في التركيب الواحد، وهذا صحيح ولكن الأولى مراعاة اختلاطهما في السياق الطبيعي غير اللغوي. فالخلق عند الإنسان والحيوان يتم وفق وظائف فسيولوجية وبيولوجية واحدة، فالخلط في المعني قائم علي السياق غير اللغوي الطبيعي الذي فيه يتم هذا، ومن ثم أتاح ذلك المزج والخلط فيما بعد في السياق اللغوي. والشئ نفسه في الشاهدين التاليين، حيث إنه في "شرّاب ألبان وتمر" إنما ينتميان إلي شخص واحد فالاختلاط أتى من سياق الواقع الطبيعي، حيث كان سبب الاختلاط والمزج اختلاطهما لدي فاعل واحد. أما في المزج بين السيف والرمح فلا مشاحة في ذلك، حيث إنهما يمتزجان معاً في مجال واحد هو الحرب والقتال، لذا جاز الخلط بينهما في التركيب، ومن ثم جاز أن يجري اللفظ الواحد علي كليهما.

٢) ما يتعلق بالتلازم :

ونعني بذلك السياق غير اللغوي الذي يتعلق بما دل الواقع علي تلازم الأشياء، أي ضرورة تواجدها في الحياة معاً، أو ما كان من الأشياء يتلازمان في الفعل معاً.

ومفهوم التلازم يعني علاقة وجوب الارتباط، بحيث إذا ذكر الأول أوجب ذلك الثاني، ومن أمثلة التلازم في الفعل والحدث قوله تعالي في سورة العاديات.

"فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعا" وقد ناقش النحويون ذلك في جواز عطف الفعل علي الاسم المشبه للفعل وأيضا العكس.

"واعطف علي اسم شبه فعل فعلا وعكساً استعمل تجده سهلا"(٩٢)

واتخذت الآية الكريمة السابقة شاهداً علي عطف الفعل على الاسم المشبه للفعل وأيضاً الآية الكريمة التالية: "إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله"

ففي كلتا الآيتين، يتبين أن مرجع العطف هنا، أو السبب الباعث علي العطف ليس سببا لغوياً، أو يرجع إلي السياق اللغوي، إنما مبعثه السياق غير اللغوي القائم علي التلازم، حيث إنه لا توجد إغارة بدون إثارة النقع، كما أنه لا توجد صدقة وفق الشرع الإسلامي دون أن تكون متلازمة مع النية والقصد الخالص لله، ومن ثم يتضح، إرادة العطف لابد أن تكون قائمة علي الاشتراك في شئ ما، وهنا العطف قائم علي السياق غير اللغوي المتعلق بالتلازم ولولا ذلك ما أقيم البناء اللغوي بناء صحيحاً إلا ما كان علي سبيل الغلط أو النسيان. إن العطف لابد أن يقوم علي قصد المتكلم الذي يريد الجمع بين شيئين، ولابد أن تكون ثمة علاقة مشاركة في الواقع أو مسرح الكلام، حتى تكون هذه المشاركة نفسها هي المعين للمتلقي كي يفهم، وتتحقق الاستجابة المرجوة.

٣) ما يتعلق بالترتيب:

يتبين من التسمية ضرورة مراعاة نظام ما، في أن يكون هذا الشيء أولا، وذلك الشيء تاليا له، ويتضح للمتكلم ذلك من خلال الواقع، أو ما يتعلق بالسياق غير

اللغوي المتعلق بالترتيب، والذي يمثل المثير، فينشئ المتكلم عبارته (السياق اللغوي)، ثم ينتقل ذلك كله إلي المخاطب وهو بدوره، يستعين بالسياق اللغوي والسياق غير اللغوي المفهومين من فحوى خطاب المتكلم وفي ضوء الصورة الذهنية يتم فهم الترتيب أيضاً.

ونعرض هنا لمثال نراه مهماً، وهو العطف بحرف الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب أو تدل علي تأخر المعطوف عن المعطوف عليه مستقبلاً(٩٣)

فقولهم: جاء زيد فعمرو،إنما مرجعه إلي تحقيق هذا الترتيب في السياق غير اللغوي الذي يتعلق بالترتيب ولولا ذلك ما تحقق القصد. ومن ذلك أيضاً قوله تعالي في سورة الأعلى: "خلق فسوي" فالتسوية لا تتم أولا، بل الخلق، فالله خلق المخلوقات جميعا ثم أحسن هيئاتها وأبدع، وهذا معلوم بالضرورة ولله المثل الأعلى.

ويختلف هذا الرأي حول الفاء، إذا اختلف السياق غير اللغوي المتعلق بالترتيب، وتبعاً لهذا المنطق فإنه يمكن القول إذا اختلف السياق غير اللغوي للترتيب، اختلف السياق اللغوي وتغير معناه. من ذلك ماروي عن خلاف في إفادة الفاء الترتيب حيث ذكر "إن الفاء فيها خلاف فمذهب البصريين أنها للترتيب. في كل موضع، والفراء موافق لهم في أنها للترتيب إلا في الفعلين اللذين أحدهما سبب الآخر، ويؤولان لمعني واحد، فإنها لا تكون عنده إذ ذاك مرتبة، وذلك نحو قولك "أعطيتني فأحسنت إلي، وأحسنت إلي فأعطيتني". يجوز أن يتقدم عنده الإحسان علي الإعطاء وإن كان الإحسان إنما وقع بعد الإعطاء لأن الإعطاء سبب الإحسان وهو إحسان في المعني ".(٩٤)

رابعاً: السياق الثقافي :

يعد السياق الثقافي من السياقات غير اللغوية التي تتسع لتشمل مناحي حياة العرب جميعها، من حيث التمدن والتحضر، والتقاليد والعادات، أو ما يطلق عليه العرف وما يتعلق بالدين والسلوك اليومي ... إلخ.

كما أنه يتسع في الدرس النحوي حتى يكاد يشمل أبواب النحو كلها، فلا يخلو باب منها إلا ونجد فيها تأثراً بهذا السياق الثقافي.

وينقسم السياق الثقافي إلي سياقات فرعية كثيرة، نختار منها قسمين، للاختصار وعدم التكرار من ناحية، وللاستدلال علي أهمية هذا النوع من السياقات غير اللغوية من ناحية أخرى :

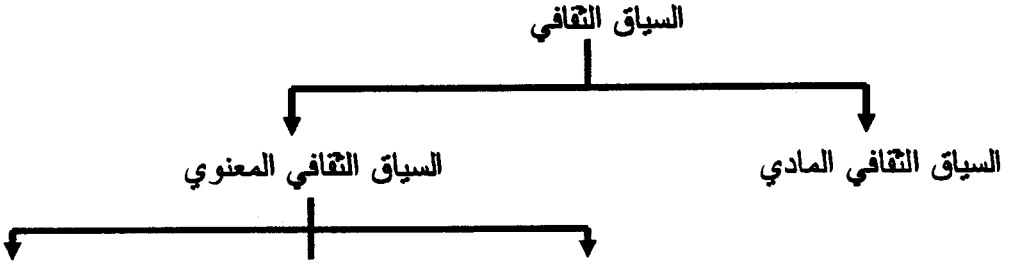

وهذان القسمان هما:

الأول: السياق الثقافي المادي.

الثاني: السياق الثقافي المعنوي.

وينقسم السياق الثقافي المعنوي إلي ثلاث سياقات فرعية كما يظهر في الشكل السابق:

أ – السياق الديني. ب– سياق ضرب المثل. جـ– سياق العرف.

ولا ندعي أن هذه السياقات يمكن أن تغطي كل السياقات الفرعية التي يمكن أن تتدرج تحت السياق الثقافي، ولكن البحث اختار ما يمكن أن يمثل السياقات الفرعية الأكثر أهمية، كما أن هذا السياق يحتاج إلي دراسة مستقلة تكون أكثر اتساعاً، وذات أهداف معينة لتضع كل باب من أبواب الدرس النحوي في سياقه الثقافي، وأحسب أن مجرد الاختلاف والحذف وما يقومان عليه من تأويل، إنما قد يكون مرجعة الحقيقي إلى السياق الثقافي بكل فروعه واتجاهاته.

١) السياق الثقافي المادي:

ونعني به السياق غير اللغوي المتعلق بالأشياء المادية المجلوبة من السياق المادي الطبيعي البيئي الذي تعيش فيه الجماعة اللغوية، فكما أن العرب استمدوا بعض صورهم الفنية وأخيلتهم – من مثل التشبيه والاستعارة والكناية.. الخ. من ذلك السياق المادي الذي أثر في ثقافتهم وتوجهاتهم العقلية والإبداعية، فقد صنع العرب الصنيع نفسه، حين استخدموا عناصر لغوية في تركيبهم، محولين إياها عن وظيفتها ومعناها، لتستعمل في وظيفة نحوية أخرى ومعني آخر.

ومن الأمثلة علي ذلك استخدام ألفاظ مأخوذة من جسم الإنسان ومن الحيوان والأرض للدلالة علي وظيفة التوكيد "فقد تجري العرب – مجري كل في التأكيد – اليد والرجل والذراع والضرع، والظهر والبطن، والسهل والجبل، والصغير والكبير، والقوي والضعيف، فتقول : ضرب زيد الظهر والبطن، وضرب عمرو اليد والرجل، وكذلك ضربت القوم كبيرهم وصغيرهم وقويهم وضعيفهم، ومطرنا السهل والجبل". والدليل على أن مجيئها علي معني التأكيد كونك قد أخرجتها عن معناها

إلي العموم. ألا ترى أنها لو لم تخرج عن أصلها وتلحق بباب التأكيد لم تعط العموم(٩٥).

ويؤدي السياق الثقافي المادي دوراً مهما في فهم وتحليل العناصر اللغوية المختلفة التي تجمع في تركيب واحد ولا يوجد بها علة لغوية سياقية تجمع بينها، بل ترجع العلة إلي السياق غير اللغوي المتعلق بثقافة العرب وتحضرهم، من مثل قول الشاعر.

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

فإننا نجد هنا أن التركيب جمع بين المختلفين اللذين لا يوجد اشتراك بينهما في السياق اللغوي، بمعني أنه لا ضرورة لغوية تحتم اجتماعهما معا. مما جعل النحاة يتجهون إلي التأويل، بعد ما تعارض هذا التركيب (زججن الحواجب والعيونا) مع أقيستهم التي وضعوها للعطف، حيث إن العطف يكون للاشتراك وهذا ما انتفي هنا مما جعلهم يؤولون العيونا بالنصب علي المعية أو علي إضمار فعل (كحلن، والتقدير وكحلن العيون).

ولكن المدقق للسياق الثقافي غير اللغوي يلاحظ أن الواقع الجمالي للمرأة العربية يفيد بأن المرأة تقوم بتزجيج الحواجب وتكحيل العيون معاً، في عملية واحدة، وزمن واحد، وهذا من السلوك الدائم الذي تقوم به غالباً المرأة متى أرادت التجمل، وهذا هو السبب الباعث علي الجمع بينهما في سياق لغوي واحد.

والأمر نفسه نجده مع شاهد آخر هو:

علفتها تبنا وماء بارداً حتى شتت همالة عيناها

فلقد توقف النحاة عند (وماءً بارداً) الموقف نفسه من (زججن الحواجب والعيونا) وتأولوا إما نصب (ماء)علي المعية، أو علي إضمار فعل يليق به،

والتقدير: وسقيتها ماءً بارداً لقد حاول النحاة فك إشكالية هذه التراكيب التي تجمع بين مختلفين وفق منطق عقلي وتأويل نحوي. فابن جنى من حيث المنطق العقلي يقبل هذه التراكيب وغيرها علي سبيل حمل المعني، وحسب التأويل النحوي يقدر فعلاً محذوفاً (وسقيتها ماءً بارداً) وكحلن العيون(٩٦).

وابن عصفور يري أنه (يسوغ أن يكون هذا من العطف، وإن لم يكن الثاني شريك الأول في المعني، لأن العرب قد تطلق علي الشيئين إذا اختلطا في الذكر حكم أحدهما) (٩٧)

أما ابن مالك، وابن عقيل فيريان أنه إذا ضعفت علاقة المشاركة بين الشيئين فيجب النصب علي المعية أو تقدير فعل مناسب.

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق والنصب مختار لدي ضعف النسق(٩٨)

لقد تنبه ابن مالك إلي أن الضعف في التشريك، أي المشاركة بسبب الاختلاف بين الأول والثاني يسبب ضعفاً في النسق، وهذا نفسه مدعاة إلي التأويل والتقدير، وتركا الباب مفتوحاً لاختيار علة النصب النحوية فماءً، والعيون أما أن تكونا منصوبتين علي المعية، أو بتقدير فعلين مناسبين يليق بهما

سقيتها ماءً بارداً، كحلن العيون(٩٩)

إن السلوك الثقافي للعرب ينتقل حتما إلي اللغة وقواعدها، وما كان مجموعاً وفق هذا السياق الثقافي سيكون مجموعاً أيضا في السياق اللغوي فقد جمع السياق اللغوي بين (زججن الحواجب والعيون) علي الرغم من اختلافهما في الفعل، إلا أن الجامع بينهما يرجع إلي ثقافة المرأة العربية التي تجمع بين الحدثين في زمن واحد.

والأمر نفسه في "علفتها تبنا وماءً بارداً" حيث ينتمي الثاني إلي مجال لا يتفق مع مجال الأول، فإعلاف الدابة تبنا يختلف عن سقايتها الماء. ولكن ثقافة تربية

الحيوان تتطلب الجمع بين إعلاف الدابة، وسقايتها وهذا سلوك ملازم لمن يتعامل مع الدواب ويتعهدها بالرعاية، وأثر ذلك السياق غير اللغوي المستمد من ثقافة العرب وحياتهم في التراكيب اللغوية[١٠٠] فجاءت مطابقة له ومتأثرة به.

٢) السياق المعنوي

أ – السياق الديني

ويعني هذا السياق ما يتعلق بالدين والأحكام، وأثرها علي السياق اللغوي، حيث لا يوجد تأثير إلا للسياق الديني وحده من مثل: قوله تعالي: "فمن كان منكم مريضاً أو علي سفر فعدة من أيام أخر". فهنا حذف للفاء مع معطوفها، أي: فافطر، فعليه عدة من أيام أخر، فحذف (أفطر) والفاء الداخلة عليه[١٠١] لعلة الفهم من السياق الديني الذي تحدده أحكام الصوم، وما يتعلق به في الآيات الكريمة، وهو معلوم بالضرورة من حكم الشرع في المواقف التي يباح فيها الفطر. والحذف هنا ليس حذفاً يحتمه السياق اللغوي بل هو حذف مستمد من السياق غير اللغوي، الديني ومناسبة بيان أحكام الصوم وإباحة الفطر.

ومن ذلك أيضاً قولهم : صمت الأيام حتى يوم الفطر. وهنا نجد أن معني (حتى) التي تفيد انتهاء الغاية، لا تعني أن ما بعدها (يوم الفطر) جزء مما قبلها، وذلك لمانع ديني حيث إن الشرع لا يبيح الصوم في يوم الفطر، فيوم الفطر غير داخل في الصوم، والعلة هنا علة ترجع إلي السياق غير اللغوي الذي يتعلق بالدين، لا إلي السياق اللغوي، وقد أطلق النحاة علي ذلك القرينة "أما حتى الجارة فإنها لانتهاء الغاية، ولا يخلو أن يكون ما بعدها جزء مما قبلها أو لا يكون". وأن كان ما بعدها جزء مما قبلها فلا يخلو أن تقترن به قرينة تدل علي أنه داخل مع ما قبلها في المعني، أو خارج عنه، أو لا تقترن به قرينة أصلاً. فإن اقترنت به قرينة، كان

المعني علي حسبها فإذا قلت: صمت الأيام حتى يوم الفطر، كان يوم الفطر غير داخل في الصوم، لأن يوم الفطر لا يجوز صيامه[١٠٢]

وقد أباح السياق الديني لبعض الصيغ أن تستخدم استخداماً خاصاً لا يباح لغيرها، ولم يسمح باستخدام هذه الإباحة لغيرها من مثل النداء لما فيه (ال) حيث لا يجوز الجمع بين حرف النداء و (ال) في غير اسم الله تعالى فيجوز أن تقول: يا الله بقطع الهمزة ووصلها، والأكثر في نداء اسم الله "اللهم" بميم مشددة معوضة من حرف النداء[١٠٣].

ب- سياق ضرب المثل :

وهذا السياق يعني استخدام بعض التراكيب اللغوية استخداماً معيناً ثابتاً لعلة تتعلق بالسياق غير اللغوي حيث تعامل العرب مع هذه التراكيب تعامل المثل.فالتركيب يتحول من كونه تركيباً عادياً إلي تركيب يتسم بسمات المثل، ويكون بمنزلته فيحذف عنصر لغوي من عناصر مكونة له، لشيوعه شيوعاً عاماً فلا يحتاج إلي إظهار المحذوف. ومن ذلك ما ذكره سيبويه في "باب ما يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل" وذلك قولك: هذا ولا زعماتك أي: ولا أتوهم زعماتك. ومن ذلك قول الشاعر، وهو ذو الرمة ذكر الديار والمنازل:

ديار مية إذ مي مساعفة ولا يري مثلها عجم ولا عرب

كأنه قال: أذكر ديار مية، ولكنه لا يذكر الفعل: أذكر لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إياه، ولم يذكر: ولا أتوهم زعماتك لكثرة استعمالهم إياه، ولا ستدلاله مما يري من حاله أنه ينهاه عن زعمه[١٠٤] ومن ذلك قول العرب:

كليهما وتمراً أي: أعطني كليهما وتمراً

كل شيء ولا هذا أي: أئت كل شيء

كل شيء ولا شتيمة حر أي: أنت كل شيء، ولا ترتكب شتيمة حر[١٠٥].

والسياق الثقافي بين علة الحذف القائم في هذه التراكيب من ناحية وحولها إلي ما يشبه المثل لكثرة دوراها علي الألسنة من ناحية أخرى.

ومن النماذج التي أوردها النحاة، وجعلوها دليلاً علي تحكم السياق الثقافي المتعلق بضرب المثل في القاعدة النحوية والتراكيب (ذا وما بعدها) في أسلوب المدح، وأسلوب الذم حيث لزم ما بعد (ذا) الافراد والتذكير في جميع الأحوال لمعاملته ومشابهته المثل:

وأوّل "ذا" المخصوص أيا كان، لا تعدل بذا، فهو يضاهي المثلا

تقول: حبذا هند، والزيدان والهندان، والزيدون، والهندات، فلا تخرج ذا عن الأفراد والتذكير وذلك لأنها أشبهت المثل[١٠٦]

لذا يمكن القول إن السياق الثقافي المتعلق بالمثل، والنابع من طريقة العرب في استخدام بعض التراكيب استخداماً خاصاً من حيث الشيوع والتوجيه، يؤكد قدرة هذا السياق غير اللغوي علي التأثير في القاعدة النحوية، وتجاوز أقيسة النحاة، مما دفع بالنحاة أنفسهم إلي القول بأن هذه التراكيب ترقي إلي مرتبة المثل، وتعامل معاملته من حيث ثبات العناصر اللغوية ومن حيث الدلالة.

ج) سياق العرف :

ويعني هذا السياق بما تعارفت عليه الجماعة اللغوية، وشاع في استخدامها مما كان له أثره علي الصيغ والتراكيب، وبذلك يكون سياق العرف هو سياق غير لغوي متعلق بثقافة المجتمع العربي، مما يكسب العناصر اللغوية في التراكيب توجيها نحوياً نابعاً من الوعي الثقافي الجمعي.

ومن أمثلة ذلك، ما شاع عن عرف العرب استخدام (ال) للدلالة علي الغلبة نحو: المدينة، والكتاب، فإن حقهما الصدق علي كل مدينة، وكل كتاب، ولكن غلبت (المدينة) علي مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم، (والكتاب) علي كتاب سيبويه[١٠٧] وقد يكون العلم بالغلبة أيضاً مضافاً كابن عمر، وابن عباس وابن مسعود فإنه غلب على العبادلة دون غيرهم من أبنائهم، فابن عمر لا يفهم منه غير عبد الله، وكذلك ابن عباس وابن مسعود[١٠٨]. ومن الأمثلة الدالة علي أهمية السياق غير اللغوي الذي يتعلق بالعرف، ما ذكره النحاة في حذف المبتدأ وجوباً، إذا ما كان الخبر فيه صريحاً في القسم، نحو: في ذمتي لأفعلن، ففي ذمتي: خبر لمبتدأ محذوف واجب الحذف، تقديره في ذمتي يمين، وقد ترك النحاة تحديد الصراحة في القسم إلي العرف السائد في الجماعة اللغوية، فكل ما كان معلوما من العرف أنه يمين أو قسم. وجب الحذف معه[١٠٩]

ومن أمثلة العرف أيضا، الالتزام في النعت بالمصدر صيغة واحدة في التثنية والجمع والتأنيث، وهي صيغة الإفراد علي الرغم من أن النعت يتبع المنعوت في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث.

أما مع استخدام المصدر نعتاً، فقد جري العرف باستخدامه علي حال واحدة في الحالات كلها حيث يكثر استعماله نحو:

مررت برجل عدل، برجلين عدل، وبرجال عدل، وبامرأة عدل، وامرأتين عدل، ونساء عدل[١١٠].

خامساً: السياق المنطقي للنحاة

ويعني هذا السياق ببيان منطق النحاة في تخريج المسائل النحوية، ورؤيتهم التحليلية وأثرهما في النحو. ويعتمد البحث على الكشف عن منطق النحاة الذي يعد

سياقاً غير لغوي، حيث إن التركيز سيكون علي منطق النحاة الذي لا يعتمد علي أية سياقات لغوية، بل هو منطق يعتمد علي فرضيات قد لا يكون لهـا وجـود إلا فـي أذهان أصحابها، وينقصها الدليل اللغوي الذي يساندها.

واستلزم ذلك أن نقسم منطق النحاة إلي أربعة أقسام، تعد مـن وجهـة نظـر البحث مؤيدة لأهداف الدراسة، ومرشدة لها تلقي الضوء علي جانب مهم لـه أثـره حين نقرأ المصادر النحوية، ونحاول فهمها.

وهذه السياقات الفرعية هي:

أ- منطق افتراض أشياء غير موجودة في اللغة.

ب-منطق إنكار الموجود بادعاء الزيادة.

ج-منطق الاختلاف فيما هو موجود أو قائم.

د- منطق تعدد التأويل والإعراب مع ثبات التركيب.

أ – منطق افتراض أشياء غير موجودة في اللغة :

ويركز هذا الجزء علي ما قال به النحاة لتعليل أقيسهتم، وذلـك عـن طريـق افتراض تخيل وهمي لوجود عناصر لغوية ليس لها وجود فعلي في اللغة، بله يمكن أن يكون لها استخدام علي وجه التأويل أو التقدير، ومبعث ذلك وحده محاولة إيجـاد أدلة عقلية تدلل علي انتظام أقيستهم، من ذلك الحديث عـن أسـباب وعلـة البنـاء لمشابهة الحرف، الذي له وجود في اللغة، أو ليس له وجـود إلا بادعـاء إمكانيـة الوجود.

والاسم منه معرب ومبني لشبه من الحروف مدني

كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا والمعنوي في متي وفي هنا

والثاني: شبه الاسم له في المعني، وهو قسمان: (أحدهما) ما أشبه حرفاً موجوداً، والآخر ما أشبه حرفاً غير موجود. فمثال الأول "متي" فإنها مبنية لشبهها الحرف في المعني، فإنها تستعمل للاستفهام نحو: متي تقوم؟، وللشرط نحو: متي تقم أقم. وفي الحالتين هي مشبهة لحرف موجود، لأنها في الاستفهام كالهمزة وفي الشرط كإن.

ومثال الثاني: "هنا" **فإنها مبنية لشبهها حرفاً كان ينبغي أن يوضع فلم يوضع، وذلك لأن الإشارة معني من المعاني، فحقها أن يوضع لها حرف يدل عليها، كما وضعوا للنفي "ما"، وللنهي "لا"، وللتمني "ليت"، وللترجي "لعل" ونحو ذلك فبنيت أسماء الإشارة لشبهها في المعني حرفاً مقدراً**[١١١].

ومن النص السابق يتبين، كيف حاول بعض النحاة التكلف الشديد لإثبات أن أقيستهم تستوعب جميع الأنماط اللغوية، مما أوقعهم في ادعاء تقديرات غير موجودة، كما أنهم خلطوا بين الأبنية علي الرغم من اختلافها، وتعدد وظائفها حسب السياقات اللغوية وغير اللغوية التي تلازمها. ومن أمثلة ذلك أيضاً خلاف النحاة الذي يدور حول الأفعال الناقصة، وهل تدل علي معني الحدث أم لا؟ فمنهم من ذهب إلي أنها ليست بمأخوذة من حدث، وإنما هي لمجرد الزمان، ولذلك لم يلفظ لها بمصدر، ولا يقال: كان زيد قائماً كوناً، ولا أمسي عبد الله ضاحكاً إمساءً. وكذلك سائر أخواتها. **والصحيح أنها مشتقة من أحداث لم ينطق بها.** وقد تقرر من كلامهم أنهم يستعملون الفروع ويهملون الأصول **والذي حمل علي ادعاء مصادر لهذه الأفعال التي قد رفض النطق بها أنها أفعال**، فينبغي أن تكون بمنزلة سائر الأفعال في إنها مأخوذة من حدث[١١٢].

ويتفق هذا النص مع النص السابق- مع اختلاف الباب النحوي- في افتراض وجود مكونات لغوية غير موجودة، وهو افتراض قائم علي نظرة النحاة الذين يريدون الانتصار لآرائهم بمنطقهم هم، لا بواقع اللغة والاستخدام الفعلي لها.

ومن الأمثلة الدالة - أيضاً- علي ذلك ما قال به النحاة في باب النداء، فيما يتعلق بالمنادي حيث قدروا له فعلاً ناصباً محذوفاً، وجعلوه بمنزلة المفعول به من باب ادعاء عناصر لغوية غير موجودة ولا يوجد دليل علي استخدامها، كما أن تقدير الفعل المزعوم يفسد المعني.

ففي قولهم يا زيد، يا رجل، يا زيدان، يا زيدون، يا رجيلون، يكون مبنياً علي ما يرفع به، ويكون في محل نصب لفعل نابت عنه (يا) فأصل يا زيد، أدعو زيداً. وفي قولهم: يا طالعاً جبلاً، يا حسناً وجهه، نصب علي تقدير فعل أيضاً لا يجوز إظهاره(١١٣).

ب- منطق إنكار الموجود بادعاء الزيادة:

ويعني هذا السياق غير اللغوي ما قال النحاة بزيادته ليطابق رؤيتهم، دون أن يكون لهم سند لغوي. من ذلك الاختلاف في حرف التعريف في (الرجل) حيث قال البعض منهم سيبويه أن اللام وحدها هي المعرف، وأن الهمزة همزة وصل اجتلبت للنطق بالساكن(١١٤).

والأغرب من ذلك كله القول بزيادة أداة التعريف (ال) في بعض الظروف مثل: الآن وبعض أسماء الموصول، نحو اللذين واللاتي، دون أن يكون لهم حجة من سماع أسماء الموصول مثلاً بدون (ال) ودون أن يستدلوا لها بشاهد واحد من النثر أو الشعر أو الكلام الذي نقلوه عن القبائل العربية، أو من بعض العرب الذين وثقوا بهم ونقلوا عنهم.

"وقد تزاد لازماً كاللات والآن، والذين، ثم اللات

ذكر المصنف أن الألف واللام تأتي زائدة وهي في زيادتها على قسمين لازمة، وغير لازمة، ثم مثل الزائدة باللات وهو اسم صنم بمكة"، وبالآن وهو ظرف زمان مبني علي الفتح(١١٥). وأصحاب هذا الرأي يقولون بزيادتها، وهو مبني لتضمنه معني الحرف وهو لام الحضور. "ومثل - أيضاً - باللذين واللات، والمراد بهما ما دخل عليه "ال" من الموصولات، وهي مبنية علي أنه تعريف الموصول بالصلة فتكون الألف واللام زائدة (١١٦)." وفشل أصحاب هذا الرأي في إيجاد دليل واحد يؤكد رأيهم، ويدل علي صوابهم. ومن الشائع والمشهور عند النحاة ادعاء زيادة حروف الجر، اعتماداً علي مقابلة هذه التراكيب بتراكيب أخري تخلو من هذه الأحرف. وتسقط هذه الرؤية القائلة بزيادة حروف الجر أمرين هما:

الأول: إسقاط خصوصية التركيب الموافقة للموقف الكلامي.

الثاني: إغفال حقيقة أن الزيادة في العناصر اللغوية التي يتضمنها التركيب، تعني أن ثمة تغير في المعنى، ولا يمكن أن يؤدي تركيبان المعنى نفسه، مع زيادة في السياق اللغوي لأيهما. ومع هذه الرؤية القائلة بزيادة بعض حروف الجر، لا نجد في تحليلهم ما درجوا عليه، في أبواب النحو كلها من القول بالوجوب والجواز واللزوم، وكل ما ذكر أنه يشترط مع زيادة بعض حروف جر شروطاً معنية من ذلك القول بزيادة (من) "ومثال الزائدة: ما جاءني من أحد. ولا تزاد عند جمهور البصريين إلا بشرطين:

أحدهما: أن يكون المجرور بها نكرة.

الثاني: أن يسبقها نفي، أو شبهة، والمراد بشبه النفي: النهي نحو: لا تضرب من أحد، والاستفهام نحو: هل جاءك من أحد؟ وأجاز الكوفيون زيادتها في الإيجاب بشرط تنكير مجرورها ومنه عندهم: قد كان من مطر، أي، قد كان مطر(١١٧).

وهذه الرؤية القائلة بزيادة الحروف مما دفعتهم أحياناً إلى الزعم بأنه لا فائدة منها في المعنى. من مثل استشهادهم قول رؤية بن العجاج :

لواحق الأقراب فيها كالمقق(١١٨).

فإن تلك الرؤية تفشل حين يقفون أمام نص قرآني يأتي فيه الحرف الزائد وفق رأيهم، لذا فإننا نجد للخروج من هذا المأزق القول بأن لهذه الزيادة وظيفة في المعنى، وكأنهم تحرجوا من القول بالزيادة والسكوت، مثلما فعلوا مع غير القرآن من الشواهد، ومن أمثلة ذلك، التوقف أمام قوله تعالى: "ليس كمثله شيء"، حيث إنهم يقولون إن الزيادة للتوكيد، ومع ذلك فإنهم يعجزون عن إثبات التوكيد عند التقدير والتفسير فيقولون أي: ليس مثله شيء(١١٩).

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى "فبما رحمة من الله لنت لهم" فـ (ما) زائد للتوكيد لأن المعنى فبرحمة من الله(١٢٠).

ج- الاختلاف فيما هو موجود أو قائم:

ويوضح هذا السياق غير اللغوي أن اختلاف مفهوم بعض الأدوات النحوية ووظائفها إنما مرده الوحيد إلى الجدل العقلي الكائن لدى النحاة وحدهم، على الرغم من ثبات هذه الأدوات في بنيتها، وفي التراكيب التي ترد فيها.

وكان الأدعى منطقياً أن ثبات العنصر اللغوي في بنيته وتركيبه يعني الثبات في المفاهيم وتحديد الوظائف.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك اختلاف النحاة حول تحديد (ما) في قولهم: ما أحسن زيداً. ففريق يقول: إنها نكرة تامة، ومن هؤلاء الخليل وسيبويه "وذلك قولك: ما أحسن عبد الله. زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله، ودخله معنى التعجب. وهذا تمثيل ولم يتكلم به[١٢١].

والنص السابق يكشف بوضوح ما سبقت الإشارة إليه من أن الاختلاف مرجعه الأدلة العقلية للنحاة دون سند من الواقع اللغوي، أو كما يقول سيبويه "هذا تمثيل ولم يتكلم به"[١٢٢]. وذهب الأخفش إلى أن "ما" موصولة والجملة التي بعدها صلتها، وذهب بعضهم إلى أنها استفهامية. وذهب آخرون إلى أنها نكرة موصوفة[١٢٣].

لذا فإننا هنا أمام أداة واحدة ثابتة في تركيب واحد نطقت به العرب، واستقرت عليه، ومع ذلك اختلفت المفاهيم دون سند لغوي يقوي قول طرف من هذه الأطراف على الطرف الآخر. والميل إلى الأخذ برأي من الآراء السابقة إنما يعد أمراً خارجاً عن السياق اللغوي، إنما هو ضرب من الجدل العقلي النابع من منطق كل فريق على حده.

ومن أمثلة الجدل السابق أيضاً، اختلاف النحاة حول (إن) النافية "فمذهب أكثر البصريين والفراء أنها لا تعمل شيئاً، ومذهب الكوفيين - خلا الفراء - أنها تعمل عمل ليس وقال به من البصريين: أبو العباس بن المبرد، وأبو بكر بن السراج، وأبو علي الفارسي، وأبو الفتح بن جني، وزعم أن في كلام سيبويه رحمة الله - إشارة إلى ذلك[١٢٤].

وقال ابن هشام إنها تعمل في لغة أهل العالية[١٢٥].

ومن أمثلة هذا أيضاً الاختلاف في تحديد مفهوم (عسى) ووظيفتها، فهي عند سيبويه تجري مجرى كان فهي فعل، قال هدبة :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب[١٢٦].

ويقول آخرون إنها حرف ومنهم ثلعب وابن السراج[١٢٧].

د- تعدد التأويل والإعراب مع ثبات التركيب:

ويعني هذا السياق ببيان أن اختلافات النحاة الجدلية التي قد لا يدعمها السياق اللغوي، ينتقل أيضاً إلى التركيب. ونعني هنا بالتركيب التركيب الثابت في سياقه اللغوي، وفي العلامات والحركات الإعرابية، أي أنها تراكيب تخلو من تعدد الرواية أو الخطأ. وهنا يظهر - أيضاً - بجلاء أن منطق النحاة، يلجأ إلى التقديرات العقلية غير المستندة من التركيب، وتجنح إلى التأويل الذي يلوي الحقائق السياقية اللغوية ليا ويجنح بها إلى جوانب غير لغوية، حيث لا يمكن لتركيب واحد ثابت أن يكون له أكثر من توجيه إلا بتقدير مستمد مما هو خارج التركيب، أو من إعادة تركيبه، وإعادة ترتيب عناصره اللغوية بتقدير التقديم والتأخير، والحذف، أو بغيرها مما يقدره كل فريق حسب أدلته المنطقية والعقلية، وأحسب أن إعادة الترتيب وتفكيك التركيب ليتفق مع منطق كل فريق، إنما هو مفسد للمعنى وللسياق اللغوي أيضاً، حيث إن لكل تركيب سماته الخاصة التي استمدها من الترتيب الكائن لكل العناصر اللغوية المكونة له والداخلة فيه. ولو أمكن لنا أن نقبل ذلك على أنه من المحتمات اللغوية لفسد التركيب، وتساوى التركيب المعجز في القرآن الكريم مع غيره ولأضحى التركيب الإبداعي في الأدب كغيره من المستويات اللغوية الأخرى.

وللاستدلال على ذلك نستشهد بأمثلة النحاة أنفسهم نحو قولهم: أقائم زيد

إنهم يقولون يجوز فيه الوجهان، الأول أن يكون الوصف (قائم) مبتدأ، وما بعده فاعل سد مد الخبر.

الثاني: أن يكون ما بعد الوصف مبتدأ مؤخراً (زيد) ويكون الوصف خبرا مقدماً[١٢٨].

فالعلل التي أتاحت هذه الاختيارات هنا، علل منطقية، فالأول أبقى على التركيب كما هو، إلا أنه واجه مشكلة أنت الضمير، الذي لا يصح أن يكون إخباراً لوصف سابق عليه، فتحركت العلة المنطقية، بعلاقات الفاعلية، حيث إن الوصف يعمل عمل الفعل عند هذا الفريق، ليكون (أنت) فاعل سد مسد الخبر. وهذا غير مقبول على أية حال من جهة المعنى، وهذا ما دفع الفريق الثاني إلى تفكيك التركيب وإعادة الترتيب لإقامة علاقات منطقية لا لغوية ليكون (أنت) مبتدأ والوصف (قائم) خبر[١٢٩]. وذلك أوقع الخلاف في إعرابهم الآية الكريمة: "أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم"[١٣٠]. وقد ادعى كل فريق أن إعرابه أولى وفق منطقه وأقيسته. فالفريق الأول الذي يرى أن راغب مبتدأ وأنت فاعل سد مسد الخبر يدعي أن رأيه أولى، ويرى أن ذلك الإعراب يتجاوز مشكلة علاقات المعنى والوظيفة النحوية لأن قوله "عن آلهتي" معمول لراغب، فلا يلزم الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، لأن أنت على هذا التقدير فاعل لراغب فليس بأجنبي منه[١٣١]. وهذا يجنبهم مشكلة المطابقة إذا كان ما بعد الوصف مثنى أو جمعاً، في التراكيب من مثل أقائم الزيدان، أقائم الزيدون، وهذا يعطيهم مصداقية على صواب رأيهم[١٣٢].

أما الفريق الثاني فيقول بالتقديم والتأخير[١٣٣].

ومن الأمثلة أيضاً على ذلك اختلاف النحاة في إعراب الآية الكريمة "فإذا هي حية تسعى" وذلك في باب تعدد الخبر، لا لعلة في التركيب ولكن لعلة منطق كل فريق، الذي يجعله يؤول ويقدر ويقدم ويؤخر، والسبب أن كلاً منهم وضع قياساً فإذا ما أتي تركيب لا يتفق والقياس حسب زعمهم، اتجهوا إلى التحايل لقبوله أو رفضه أو توجيهه وجهة أخرى.

ونعرض في عجالة موقف النحاة من تعدد الخبر، قبل عرض رأيهم في إعراب الآية الكريمة.

الفريق الأول: جوز تعدد خبر المبتدأ الواحد بغير عطف دون شروط تقول: زيد قائم ضاحك وهذا حلو حامض.

الفريق الثاني: اشترط أن يكون الخبران منتميين إلى مجال واحد من حيث المعنى، فإن لم يكونا كذلك تعين العطف، فإذا جاء تركيب لا يتفق مع هذا القياس، قدر له مبتدأ آخر وهكذا نجد اتجاه هذا الفريق إلى شئ خارج التركيب يستعين بالتقدير، والمشكل في هذا أنه إذا كان مقبولاً في التراكيب العادية إذا جاز التعبير - فهل يجوز ذلك مع القرآن الكريم؟ لقد اتجهوا إلى التقدير والتأويل حتى في التراكيب القرآنية كقوله تعالى "وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد".

الفريق الثالث: وضع شرط الجنس النحوي بمعنى أن يكون الخبران مفردين، أو جملتين، وأما إذا كان أحدهما خبراً مفرداً والثاني جملة، فلا يجوز ذلك فلا نقول: زيد قائم ضحك[١٣٤].

ووفق ما سبق فإن موقف النحاة من الآية القرآنية الكريمة "فإذا هي حية تسعى" قد اختلف في إعراب (تسعى)، ففريق جوز كون (تسعى) خبراً ثانياً، وفريق جوز كونه حالاً، وفريق جوز كونه صفة[١٣٥].

سادساً: سياق تنوع الروايات والقراءات.

يعد هذا السياق من السياقات غير اللغوية المؤثرة في القاعدة النحوية، نظراً لأنه يحمل اختلافات الروايات والقراءات التي مرجعها اختلاف الرواة والقراء، بحسب جماعاتهم اللغوية التي ينتمون إليها، ومن ثم فإن علة الخلاف ليست في السياقات اللغوية إنما في تنوع الرواة والقراء، وتنوع بيئاتهم اللغوية حين تتعامل مع هذه السياقات اللغوية.

وترجع أهمية اختلاف الروايات والقراءات إلى أنها تعد مؤشراً على الشائع والمشهور، كما أنها يمكن أن تعد محكاً لمعرفة الشاذ والحوشي، والمهجور، بحكم التغيرات اللغوية التي طرأت على البيئات اللغوية. كما أن هذه الروايات والقراءات تمثل الشواهد التي احتكم إليها النحاة، وكانت هي الدليل الذي استخدموه في توجيه أقيستهم.

وقد أدى اختلاف الروايات والقراءات إلى لون من ألوان التسامح اللغوي للأجيال فيما بعد، حيث أمكن لها اختيار ما يناسبها، وما يميل إليه ذوقهم، وبذلك كانت إحدى الأدوات اللغوية التي مكنت العربية من الانتشار في جمع البلاد المفتوحة فيما بعد. وأن تعبر عن حياتها والمتغيرات الجديدة، بما أتاحته من متاحات لغوية من نواحي البنية الصوتية والصرفية والتراكيب والدلالة.

وتوزع اختلاف الروايات والقراءات على مستويات ثلاث:

الأول: رواية الشعر.

الثاني: قراءة القرآن الكريم.

الثالث: رواية الحديث النبوي الشريف.

رواية الشعر:

ومن الأمثلة على اختلاف رواية الشعر، بيت امرئ القيس في باب نيابة حركة عن حركة، ومنها جمع المؤنث السالم:

تنورتها من أذرعاتٍ، وأهلها بيثرب، أدنى دارها نظر عالي[١٣٦].

أذرعاتِ

أذرعاتَ

فقد روى هذا البيت بروايات ثلاث

الأولى: (أذرعاتٍ) روى بالجر بالكسرة مع التنوين مراعاة للجمع.

الثانية: (أذرعاتِ) روى بالجر بالكسرة ويزال التنوين، وهو مذهب من مذاهب إعراب جمع المؤنث السالم حيث يرفع بضمة واحدة، وينصب ويجر بالكسرة.

الثالثة: (أذرعاتَ) روى بالجر بالفتحة مراعاة للعلمية والتأنيث تبعاً للمذهب القائل بأن جمع المؤنث يرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة[١٣٧].

ومن الملاحظ أن الروايات وشيوعها تساعد على تحديد القواعد النحوية، وما يمكن أن يكون أساساً جامعاً بين الروايات المختلفة، وتسهم أيضاً في القياس عليها، وفي فهم وتحليل ما يشابهها. كما أنها يمكن أن تكون معيناً على معرفة البيئة اللغوية التي تنتمي إليها رواية ما.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أيضاً اختلاف رواية بيت النابغة:

قالت ألا ليتما هذا الحمامُ لنا الحمامَ إلى حمامتِنا أو نصفه فقد[١٣٨].

فقد روى برفع (الحمامُ) على إهمال ليت بعد دخول ما عليها، لأنها صارت بمنزلة إنما زيدُ منطلق[١٣٩].

وروى بنصبه على إعمال ليت في اسم الإشارة، والحمام بدل منه، أو نعت أو عطف بيان، وهاتان الروايتان من الشواهد التي اعتمد عليها النحاة في القول بأن جميع الأدوات يجوز فيها الإعمال والإهمال إذا اقترنت بما[١٤٠].

وإذا كان البيتان السابقان لشاعرين مشهورين قد تعددت روايتهما، فإن هناك أبيات غير منسوبة لأحد قد نالت الحظ نفسه من تعدد الرواية ومن الاهتمام، كشاهد من الشواهد التي يستدل بها، ومن ذلك البيت التالي الذي استخدم شاهداً على عمل كأن المخففة من ناحية، وعلى إلزام المثني الألف من ناحية ثانية. وقد اختلفت الروايات أيضاً في صدر البيت.

وورد في المصادر النحوية هكذا:

وصدر مشرق النحر كأنْ ثدييه حقان[١٤١]

ثدياه

ووجه مشرق النحر كأنْ ثدياه حقان[١٤٢]

ففي رواية (ثدييه) يكون أسم كأن منصوب بالياء، وحقان خبر كأن، وهنا تكون كأن عاملة فيما بعدها.

وفي رواية (ثدياه): يكون اسم (كأن) محذوفا وهو ضمير الشأن. والتقدير: كأنه ثدياه حقان

وثدياه: مبتدأ، وحقان: خبر، والجملة خبر كأن[١٤٣]

وتم الإفادة من الرواية الثانية حيث يحتمل أن يكون (ثدياه) اسم كأن، وجاء بالألف علي لغة من يجعل المثني بالألف في الأحوال كلها[١٤٤]

ومن أمثلة اختلاف القراءات القرآنية وأثرها علي الاستشهاد النحوي، قوله تعالي في سورة الأنعام الآية (٥٤). "كتب ربكم علي نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه "غفور رحيم" قرئ " فإنه غفورٍ رحيمٍ" بالكسر علي جعلها جملة جوابا لمن.

وقرئ بالفتح علي جعل أن وصلتها مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: فالغفران جزاؤه، أو علي جعلها خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: فجزاؤه الغفران[١٤٥] ووفقا لما سبق جاز كسر وفتح همزة (إن) بعد فاء الجزاء.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالي في سورة البقرة الآية ٢٣٣ "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة" قرئ "لمن أراد أن يتم الرضاعة" برفع يتم علي أنها "أن" المخففة من الثقيلة. [١٤٦]

وقرئ "أن يتم" بنصب يتم، وعلي هذا تكون "أن" ناصبة للفعل المضارع[١٤٧] ،وعلي القراءة الأولي تعد الآية شاهدا علي وقوع خبر (أن) المخففة جملة فعلية بدون فاصل، ودون أن يسبقها علم أو ظن[١٤٨].

ومن اختلاف الرواية في غير ذلك، ما سمع من روايات مختلفة نقلت عن العرب، دون تحديد القائل، أو القبائل العربية، أو مكان الجماعات التي نقلت عنها هذه الروايات. فقد نقل ابن عقيل (٥) خمسة أوجه في قراءة "لا حول ولا قوة إلا بالله"

الوجه الأول: بناء (لاقوة) علي الفتح لتركبه مع الثانية التي تكون عاملة فيه.

الوجه الثاني: النصب (لا قوةً) عطفاً علي محل اسم لا، وتكون (لا) الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف

الوجه الثالث: الرفع (لا قوةٌ) علي أساس أنه:

أ - معطوف علي محل (لا) واسمها لأنها في موضع رفع بالابتداء.

ب- (لا) الثانية تعمل عمل (ليس).

جـ- مرفوع علي الابتداء، وليس لـ (لا) عمل فيها[١٤٩].

سابعا: سياق الإبداع الشعري

يتعلق هذا السياق بالإبداع الشعري، حيث إن الشعراء يمكن لهم صناعة تراكيب تخالف الأقيسة النحوية التي أرادها النحاة، ودافع الشعراء في ذلك إنما هو دافع غير لغوي، ألا وهو الملكة الشعرية والتجربة التي تدفعهم دفعا إلي إعادة تكوين اللغة، كما يعيدون ترتيب العوالم في إبداعهم.

وقد تنبه النحاة إلي ذلك فأباحوا للشعراء الحرية وفق مقاييس الضرائر الشعرية، أو الضرورات، وقد أباح سيبويه للشعراء فعلهم، وتمثل ذلك في قبوله التراكيب التي ترد في الشعر مهما خالفت القواعد النحوية، وقد ذكر سيبويه ذلك في مواضع كثيرة منها قوله. "فمما لا يليه الفعل إلا مظهرا: قد وسوف ونحوهن، فإن اضطر شاعر فقدم الاسم، وقد أوقع الفعل على شئ من سببه لم يكن حد الأعراب إلا النصب"[١٥٠]. ويقول في موضع آخر " واعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم، إذا كان الفعل بعد الاسم : لو قلت: هل زيد قام؟ وأين زيد ضربته؟ لم يجز إلا في الشعر "[١٥١].

أما ابن جني فقد نفي أن تكون الضرورات الشعرية ضرباً من الخطأ، أو لونا من ألوانا القبح، أو دالة دلالة قاطعة علي ضعف الشاعر، وعدم تمكنه من اللغة. ويذهب في دفاعه عن الشعراء إلي أبعد من النفي والرفض، حيث يظهر الإعجاب والتقدير، لأن هذه الضرورات إنما هي آية الإبداع، وأداة الخوض في عالم جديد يستلزم لغة وتراكيب جديدة، لذلك يقول ابن جني. "فمتي رأيت الشاعر قد ارتكب

مثل هذه الضرورات علي قبحها وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ما جشمه منه وإن دل علي جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصيا له وتخمطه، وليس بدليل قاطع على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله عندي مثل مجري الجموح بلا لجام، أو وارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام. فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته"[١٥٢].

ويكشف نص ابن حنبي عن علة قبول الضرورات، حيث إنها تمثل مرونة اللغة في التعبير عن الجديد من الأفكار والعواطف، وتبرز أيضاً أن الشعراء القدماء رغم ما أنشأوه في أشعارهم من ضرورات، إلا أنهم متمكنون من اللغة وبنياتها الصرفية والنحوية

وفي ضوء ذلك من إشارات الرواد في مجال الدرس اللغوي وعلي رأسهم سيبويه وابن جني قبل النحاة من بعد أن يكون الإبداع الشعري شواهد لأقيستهم من بعد[١٥٣]

ومن الأمثلة الإبداعية الشعرية المؤثرة في القاعدة النحوية، وأدخلها النحاة تحت ما أسموه بالقلة تارة[١٥٤]، أو الضرورة القبيحة تارة أخرى[١٥٥]، قول الفرزدق:

ما أنت بالحكم الترضي حكومته ولا الأصيل ولاذي الرأي والجدل[١٥٦]

والشاهد هو (الترضي) حيث دخلت (ال) علي الفعل المضارع وهذا عند جمهور البصريين مخصوص بالشعر[١٥٧] وقيل إن هذا ضرورة قبيحة، ولا يقاس عليه (وال) في ذلك اسم موصول بمعني الذي[١٥٨].

ومن ذلك أيضاً قول رؤية بن العجاج الشاعر المشهور المتوفي ١٤٥هـ:

عددت قومي كعديد الطيس إذا ذهب القوم الكرام ليسي

والشاهد في (ليسي) حيث ورد خالياً من نون الوقاية مع وجوبها مع الفعل وذلك ضرورة(١٥٩).

وأيضا قول زيد الخير الطائي :

كمنية جابر إذ قال: ليتي أصادفه وأتلف جل مالي

والشاهد في (ليتي) حيث ورد خاليا من نون الوقاية(١٦٠)

ومن الأمثلة الدالة علي أثر الإبداع الشعري علي القاعدة النحوية، قول الشاعر:

لقد رأيت عجبا أمسا عجائزاً مثل السعالي خمسا

والشاهد فيه: قوله (أمسا) فإن كلمة أمس وردت مفتوحة مع أنها مسبوقة بحرف جر، فدلت علي أنها عوملت معاملة ما لا ينصرف، فجرت بالفتحة نيابة عن الكسرة. وقد وهم الزجاجي، فزعم أن من العرب من يبني أمس علي الفتح واستدل بهذا البيت(١٦١).

ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

بكيت علي سرب القطا إذ مررن بي فقلت: ومثلي بالبكاء جدير

أسرب القطا، هل من يعير جناحه لعلي إلي من هويت أطير

والشاهد في (من يعير) حيث استعمل من في غير العاقل، وهو جماعة الطيور، وذلك لتنزيلها منزلة العاقل، وهذا قليل(١٦٢).

ثامنا: سياق الصفات الجسمية والإشارات :

يعد هذا السياق غير اللغوي المتعلق بالصفات الجسمية والإشارات من السياقات الهامة في القاعدة النحوية وضبطها وفي توجيه الكلام وتحديده[١٦٣]، وينقسم هذا السياق إلي قسمين:

أ - الصفات الجسمية.

ب- الإشارات الجسمية.

ويمكن تقسيمها وفق تعلقها بالقاعدة النحوية وبالكلام كما يلي:

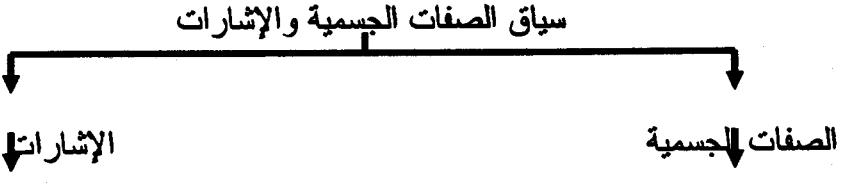

أ- الصفات الجسمية وأثرها في القاعدة النحوية :

ونعني بالصفات الجسمية السمات الطبيعية للإنسان، من حيث الوظائف الفسيولوجية والبيولوجية، وتوزعها بين الذكورة والأنوثة.

وتؤثر الصفات الجسمية في أبواب بعينها في النحو العربي حيث يعتمد عليها القياس النحوي حين يكون السياق اللغوي غير كاف للإيضاح والتعليل خاصة فيما يتعلق بتحديد الجنس (المذكر - والمؤنث) وتحديد صيغ الجمع السالم وتحديد العلاقة مع الأفعال.

ويوضح الشكل التالي أهم القواعد النحوية التي ترتبط بالصفات الجسمية:

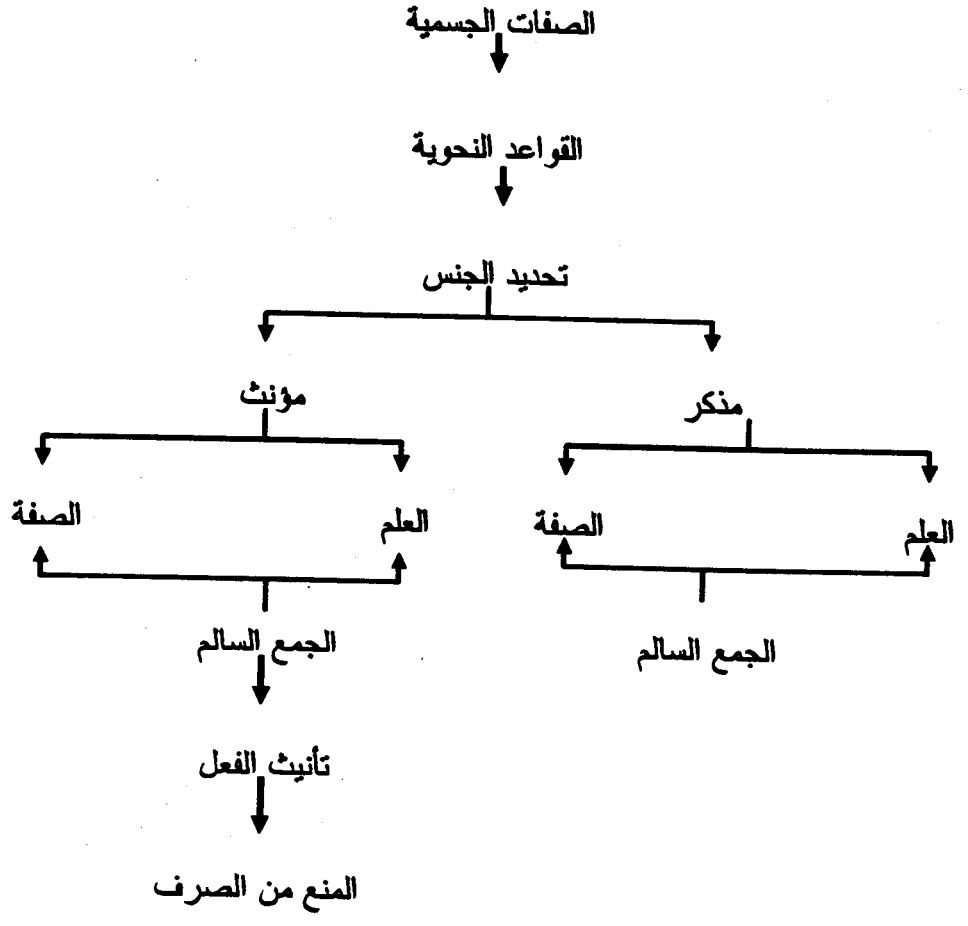

ومن الشكل السابق يتضح أن الصفات الجسمية لها تأثيرها علي قواعد النحو، فالتقسيم إلي مذكر ومؤنث لا يعود إلي اللفظ وحده، بل إلي الصفات الجسمية الطبيعية المتحققة في الفرد، فإن اكتملت فيه الصفات الجسمية للذكر أصبح جنسه مذكراً، حتى لو أطلق عليه علم مؤنث من مثل: **طلحة، حارثة، حمزة** فهذه أعلام

مؤنثة لفظياً، وتطلق علي جنس الرجال فمرد الذكورة هنا ليس إلي اللفظ، بل إلي الصفات الجسمية الطبيعية.

والأمر نفسه للمرأة أو جنس المؤنث، حيث يطلق علي النساء أسماء مذكرة لفظاً من مثل: زينب ــ هند ــ منار.

فهذه أعلام تطلق علي النساء علي الرغم من خلوها من علامات التأنيث، ومرجع ذلك أن من تحققت فيه الصفات الجسمية الأنثوية أصبح مؤنثاً.

وهذه الصفات نفسها ما يشترطه النحاة حين يتحدثون عن المؤنث الحقيقي التأنيث.

وليس هنا في مجال استعراض كل ما جاء في النحو العربي، ونكتفي ببعض الإشارات التي يري الباحث أنها تخدم الهدف هنا.

ومن ذلك ما يشترطه النحاة لجمع المذكر السالم "وهو قسمان: جامد، وصفة، فيشترط في الجامد: أن يكون علماً- لمذكر - عاقل خاليا من تاء التأنيث ومن التركيب .....

ويشترط في الصفة أن تكون صفة لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث، ليست من باب أفعل فعلاء، ولا من باب فعلان فعلى، ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث[١٦٤]

ومن الملاحظ من الشروط السابقة أنها جمعت بين الشروط الطبيعية الجسمية لجنس الذكر، وبين الشروط اللغوية اللفظية والمعنوية، لذلك لا يجمع لفظ (لاحق) لأنه علم علي فرس، ولا لفظ (سابق) لأنه صفة لفرس، ولا (حائض) لأنه صفة لمؤنث.

ويناقش النحاة في تأنيث الفعل مع الفاعل قضية المؤنث الحقيقي، والمؤنث المجازي ويوجبون تأنيث الفعل مع الفاعل إذا كان ظاهراً مؤنثاً حقيقي التأنيث[١٦٥]، أي: يتسم بسمات الأنوثة الحقيقية.

وتؤثر الصفات الجسمية أيضاً في المنع من الصرف فعلي سبيل المثال، يقول النحاة: بمنع (زيد) من الصرف إذا نقل من المذكر إلي المؤنث، والفيصل هنا ليس اللفظ إنما إلي إطلاق اللفظ علي مؤنث حقيقي له سمات الأنثى كغيرها من صفات جنس المرأة[١٦٦]

ب- الإشارات الجسمية:

الإشارات الجسمية من السياقات غير اللغوية الهامة، في توجيه الكلام، وأكثر ما تكون أهمية في الحذف، حيث يتلازم السياق اللغوي مع الإشارات الجسمية، فلا تدع الحاجة للمتكلم إلي المزيد من القول، أو التراكيب، استناداً إلي ما قام به من إشارات جسمية رآها السامع، أو انتبه إليها.

وقد عرض ابن جني لذلك في معرض حديثه عن حذف الصفة، وبين أنه يمكن للإشارات الجسمية أن تقوم مقام الصفة المحذوفة التي يمكن الاستغناء عنها، ويصور ابن جني ذلك في معرض موقف ذم، فيقول: "وكذلك أن ذممته، ووصفته بالضيق، قلت" سألناه، وكان إنسانا ! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك علي قولك: إنساناً لئيماً أو لحزاً أو نحو ذلك[١٦٧]

والمشكل هنا أنه لا توجد مقاييس محددة للإشارات الجسمية، لأنها تخضع لجوانب ثقافية، واجتماعية تختلف من بيئة إلى بيئة، ومن طبقة إلى طبقة، كما أنها تختلف باختلاف المواقف الكلامية مما يشكل صعوبة أن تدخل في إطار قواعد نحوية ثابتة.

وقد تنبه القدماء إلي أن هذا الجانب مهم في الحذف، ولا يقل أهمية عن اللفظ أو السياق اللغوي، ولكن يشترط وجود دليل علي ذلك "فعلي هذا تحذف الصفة، فإما عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال، فإن حذفها لا يجوز "[١٦٨]

تاسعاً: السياق النفسي :

يعني السياق النفسي ببيان أثر مجموعة من الانفعالات النفسية غير العادية، وكذلك عناصر من السلوك الإدراكى علي التراكيب[١٦٩]، ومن ثم الأقيسة النحوية التي قعدها النحاة، حيث إنهم أدركوا من خلال استعراضهم للتراكيب اللغوية أن بعض التراكيب ليست تراكيباً عادية مثل غيرها، وأنها ارتبطت بمواقف كلامية معينة، لذا فإن المدقق في هذه التراكيب يدرك اختلافها عن غيرها، وإنها تمثل استجابة لانفعالات محددة، كما يدرك أيضاً التوافق بين هذه التراكيب غير العادية ودوافع السلوك والانفعالات المتفاعلة في الموقف الكلامي.

وقد التفت النحاة إلي أثر السياق النفسي- بما يتضمنه من دوافع وانفعالات - علي التراكيب والنحو وخصصوا له محددات بعينها، ويمكن تقسيم هذا السياق النفسي إلي قسمين:

أ - السياق الذي يتعلق بالانفعال النفسي غير العادي.

ب- السياق الذي يتعلق بالسلوك الإدراكي.

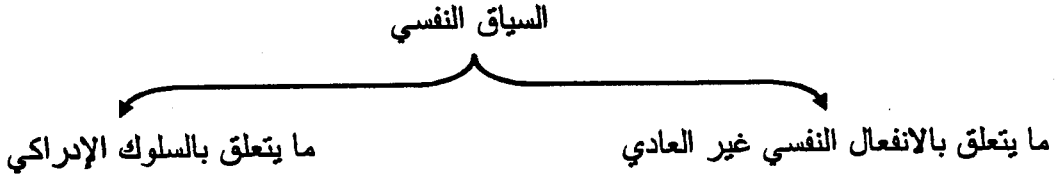

أ- السياق الذي يتعلق بالانفعال النفسي غير العادي:

ويرتبط هذا السياق بمجموعة من الانفعالات الخاصة والمقيدة، الناتجة عن مثيرات معينة، في مواقف محددة[١٧٠]. وتتميز هذه الانفعالات بأنها تكون مثيرات لدي المتكلم الذي يستجيب بإنشاء تراكيب لغوية غير عادية، وتخالف ما عداها من تراكيب وهي تراكيب لغوية محصورة في أنماط لغوية محددة.

ويتم التفاعل بين الانفعال النفسي والتراكيب كما يلي:

مثير خارجي من الواقع

↓

استجابة (الانفعال النفسي غير العادي) ← مثير

↓

استجابة (التراكيب اللغوية الخاصة)

ويوضح الشكل السابق طبيعة العلاقة التي تجمع الانفعالات النفسية بالتراكيب، وهي العلاقة التقليدية التي تقوم على أساسي (المثير - الاستجابة) فهناك المثير الخارجي المستمر من الواقع، ثم هناك الانفعالات النفسية غير العادية التي تمثل الاستجابة، وهي بدورها تعد مثيراً لإنتاج التراكيب لدي المتكلم، ثم الاستجابة الفعلية المتمثلة في التراكيب اللغوية الخاصة المعبرة عن المثيرات الانفعالية السابقة، والمتوافقة معها.

وقد وزع النحاة درس هذه التراكيب المقيدة علي الأبواب التالية:

- **المبتدأ والخبر (حذف المبتدأ وجوبا في النعت المقطوع).**
- **النعت (النعت المقطوع بالرفع أو النصب).**
- **التعجب.**

- **الندبة.**
- **رب.**

وستقوم الدراسة أولاً ببحث (حذف المبتدأ وجوباً في النعت المقطوع). و(النعت المقطوع في الرفع أو النصب) معاً، لأنهما حالة واحدة توزعت علي بابين من أبواب النحو، ثم (التعجب) ثم (الندبة)، وأخيراً (رب).

١ – النعت المقطوع.

يخضع النعت المقطوع لانفعالات ثلاثة خاصة، حددها النحاة في التعظيم، والشتم أو الذم، والترحم، ويمكن تخيل العلاقة بين الانفعالات الخاصة وهذه التراكيب وفق الشكل التالي:

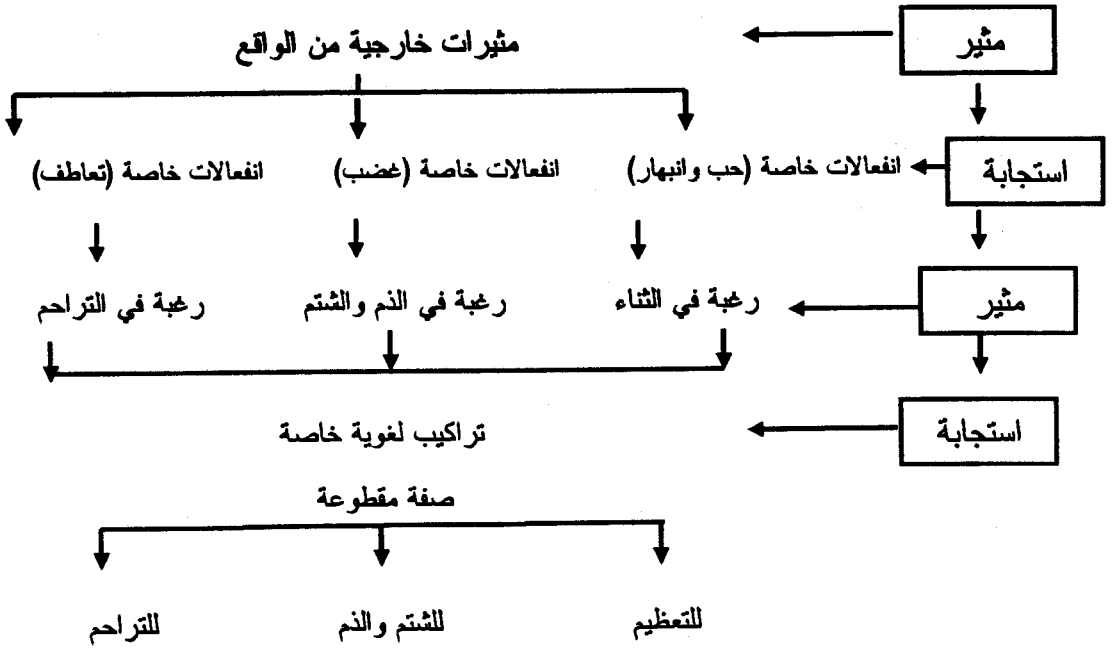

ووفقاً للشكل السابق، يتبين أنه لابد من مثير خارجي يدفع إلي استجابات انفعالية خاصة بالحب، والانبهار، والغضب، والتعاطف، وهذه الاستجابات نفسها تتحول إلى مثيرات للرغبة في الثناء، والذم، والترحم، وتظهر بعد ذلك التراكيب اللغوية الخاصة التي تتشكل في نمط نحوي خاص (الصفة المقطوعة).

ويتبين مما سبق أن السياق النفسي هو الدافع الأساسي لإنشاء هذه التراكيب، وليس السياق اللغوي، أو ضرورات التراكيب.

وتتفق هذه الرؤية السابقة مع ما يراه الخليل بن أحمد حيث يقول في علة النصب علي التعظيم والمدح في النعت المقطوع،: "إنك لم ترد أن تحدث الناس، ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعلته ثناء وتعظيما ....، وهذا شبيه بقوله: إنا بني فلان نفعل كذا، لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري أنه من بني فلان، ولكنه ذلك افتخاراً وابتهاء"(١٧١).

ويؤكد سيبويه - أيضاً- ما سبقت الإشارة إليه من أن سيان الانفعالات غير العادية هو المؤثر، وهو المقياس الوحيد لقبول النمط النحوي، وصياغة التراكيب اللغوية، حيث يقول في النعت المقطوع للتعظيم: "وأعلم أنه ليس كل موضوع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها. ولو قلت: مررت بعبد الله أخيك صاحب الثياب أو البزاز، لم يكن هذا مما يعظم به الرجل عند الناس ولا يفخم به"(١٧٢).

فسيبويه يوضح ــ أيضاً ــ ما أشار إليه الخليل، من أن هذه التراكيب ليس غرضها الإخبار، وليست نابعة من المعتاد أمره في الواقع والحياة. ويناقش سيبويه الشأن نفسه حيث يعرض للتراكيب الدالة علي الذم في (باب ما يجري من الشتم مجري التعظيم وما أشبهه) حيث يلتزم بالمقاييس التي التزم بها في التراكيب التي

تدل علي التعظيم "تقول : أتاني زيد، الفاسق الخبيث لم يرد أن يكرره، ولا يعرفك شيئاً تنكره، ولكنه شتمه لذلك"(١٧٣).

وعلي هذا القياس يتم تخريج الآية القرآنية الكريمة "وامرأته حمالة الحطب" (الآية ٤ سورة المسد)، حيث لم يجعل (حمالة) خبر للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكر حمالة الحطب شتماً لها.

ومن ذلك أيضاً تخريج قول النابغة

أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع(١٧٤).

وصنع سيبويه الصنيع نفسه فيما يتعلق بالتراحم حيث يقول "ومن هذا الترحم، والترحم يكون بالمسكين والبائس ونحوه، ولا يكون بكل صفة ولا كل اسم، ولكن ترحم بما ترحم به العرب"(١٧٥).

وتابع النحاة ــ من بعد ــ سيبويه في ذلك الفهم، ووعوا أن النعت المقطوع (في المدح والذم والترحم) إنما يعبر عن انفعالات نفسية، فالأول نابع من الانبهار والتعظيم، والثاني من الكره والغضب، أما الأخير فمرده رقة الشعور والتعاطف مما يدل علي التراحم.

وضربوا لذلك الأمثال التالية:

مررت بزيد الكريمُ – الكريمَ

مررت بزيد الخبيثُ – الخبيثَ

مررت بزيد المسكينُ – المسكينَ(١٧٦).

٢ التعجب:

يعد التعجب من الانفعالات غير العادية، حيث إنه الاستجابة النفسية لمثير خارجي يبعث علي الدهشة من حسن أو جمال أو فضل وخصال، وحيث إنه انفعال

خاص فإن له أيضاً تراكيب لغوية محددة. من مثل: "قولك ما أحسن عبد الله ....، ولا يجوز أن تقدم عبد الله وتؤخر ما، ولا تزيل شيئاً عن موضعه، ولا نقول فيه ما يحسن، ولا شيئا مما يكون في الأفعال سوي هذا"[١٧٧].

وقد ذكر سيبويه أنماطاً أخرى تحمل دلالة التعجب من مثل:

- يا لك فارسا
- ما رأيت كاليوم رجلاً
- تالله رجلاً
- سبحان الله رجلاً[١٧٨].

والشائع في التعجب صيغتان أحدهما (ما أفعله) والثانية: (أفعل به) [١٧٩].

٣- الندبة.

يدل سياق الندبة علي الانفعالات النفسية غير العادية التي عادة ما تظهر إلا مع مثير خارجي يبعث علي الحزن الشديد والغم، أو التفجع، والتوجع[١٨٠].

وله تراكيب لغوية معينة من قبل : وازيداه - وازيدا

٤- رُبَّ :

ونقصد التركيب اللغوي الذي يتضمن رُبَّ للتعبير عن الانفعال الدال علي المباهاة والافتخار، فالدافع هنا دافع نفسي أثر في المتكلم مما جعله ينشئ تركيباً خاصاً يتوافق مع الحالة النفسية، من مثل قول امرئ القيس:

فيارب يوم قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثال

وقوله أيضاً:

فيارب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه فقداني

" ألا تري أنه إنما يريد أنه لها أياماً ولياليَ كثيرة، وكثر منه فك الأسري، وكره وراء المكروبين.....، لأن رب في هذه الأماكن وأمثالها للمباهاة والافتخار"[١٨١].

ب-السلوك الإدراكي :

ويعني هذا السياق غير اللغوي بالجوانب السلوكية الإدراكية التي تتعلق **بالشك واليقين والخوف**، وهي جوانب مؤثرة في التراكيب، وتعد من الأقيسة غير اللغوية التي يقيس بها النحاة الفروق بين تركيب وتركيب، أو الوظائف النحوية لبعض الصيغ في إطار تراكيب معينة ويمكن أن يتوزع هذا السلوك الإدراكي على ثلاثة أبواب نحوية هي:

١) ظن وأخواتها.

٢) التوكيد.

٣) البناء للمجهول.

١) ظن وأخواتها:

وهي من أكثر الأبواب النحوية، التي تتأثر بهذا الجانب السلوكي الإدراكي، حيث إنه أحد المقاييس التي بها تميز ظن وأخواتها عن غيرها من أفعال، يقول سيبويه في (باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلي مفعولين): "وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر. وذلك نحو قولك: حسب عبد الله زيداً بكراً، وظن عمرو خالداً أباك، ورأي عبد الله زيداً صاحبنا، ووجد عبد الله زيداً ذا الحفاظ. وإنما منعك أن تقتصر علي أحد المفعولين ههنا، أنك إنما أردت أن تبين ما استقر عندك من حال المفعول الأول، **يقينا كان أو شكا**، وذكرت الأول لتعلم الذي تضيف إليه ما استقر له عندك من هو. فإنما ذكرت ظننت ونحوه لتجعل خبر المفعول الأول **يقيناً أو شكاً**، ولم ترد أن تجعل الأول فيه الشك، أو تقيم عليه في اليقين. وإن قلت: رأيت فأردت **رؤية العين**، أو وجدت فأردت **وجدان الضالة**، فهو بمنزلة ضربت[١٨٢].

ومن النص السابق يتبين لنا أن الجانب السلوكي الإدراكي المتعلق **بالشك واليقين**، لا الجانب الحسي ــ الذي يعتمد علي إدراك الحواس للماديات ــ هو السبب الباعث علي إنتاج هذه التراكيب وهو الفيصل بينها، ويعد هذا الجانب النفسي

هو أداة القياس بين نمطين نحويين مختلفين، لا يقومان علي اختلاف اللفظ فالأفعال هي هي نفسها لا تتغير[١٨٣].

وقد أطلق النحاة علي هذه الأفعال أيضاً مصطلحا صريحا في الدلالة علي ذلك الجانب النفسي، إذ أسموها " **أفعال القلوب** " أي: الأفعال التي معانيها قائمة بالقلب متصلة به[١٨٤].

وقسموها قسمين: ما يدل علي اليقين، وما يدل علي الرجحان، ومن أمثلة ذلك قول خداش بن زهير من بني عامر بن صعصعة:

رأيت الله أكبر كل شئ محاولة وأكثرهم جنودا

والشاهد: في (رأيت) حيث جاءت بمعني اليقين ونصبت مفعولين[١٨٥].

٢) التوكيد:

ويعد التوكيد من السياقات غير اللغوية المتعلقة بالإدراك النفسي، حيث يراد باستخدامه **رفع التوهم**[١٨٦]. **وإزالة الشك وتثبيت المعنى في النفس، وإزالة اللبس** عن الحديث أو المحدث عنه[١٨٧]. ومن هذا يتضح أن التوكيد يرتكز علي الإدراك السلوكي النفسي، وقد توزع التوكيد وفق المفهوم السابق علي ما يلي من أبواب النحو العربي:

١) المصادر (التوكيد بالمصدر) من مثل: انطلق زيدا انطلاقاً.

٢) التوكيد المعنوي: بألفاظ (نفس – عين – كل – جميع... الخ) نحو: جاء زيد نفسه.

٣) التوكيد اللفظي: الذي يقوم علي تكرار اللفظ، نحو: مررت بك بك، ونحو: دكاً دكاً في الآية الكريمة (كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً).

أو قول الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلي الهيجا بغير سلاح

وهناك مصادر نحوية التفتت بوضوح إلي المفهوم الإداركي النفسي، وفيها قسم النحاة التوكيد إلي قسمين وفق التوجيه النفسي لإرادة التوكيد:

الأول: يراد به تمكين المعني في النفس.

الثاني: يراد به إزالة الشك.

وهذا القسم الثاني يتفرع إلي فرعين بحسب اتجاه إزالة الشك فينقسم إلي:

أ – إزالة الشك عن الحديث.

ب – إزالة الشك عن المحدث عنه[١٨٨].

ويبين الشكل التالي توزيع التوكيد وفق التوجيه النفسي السابق ذكره:

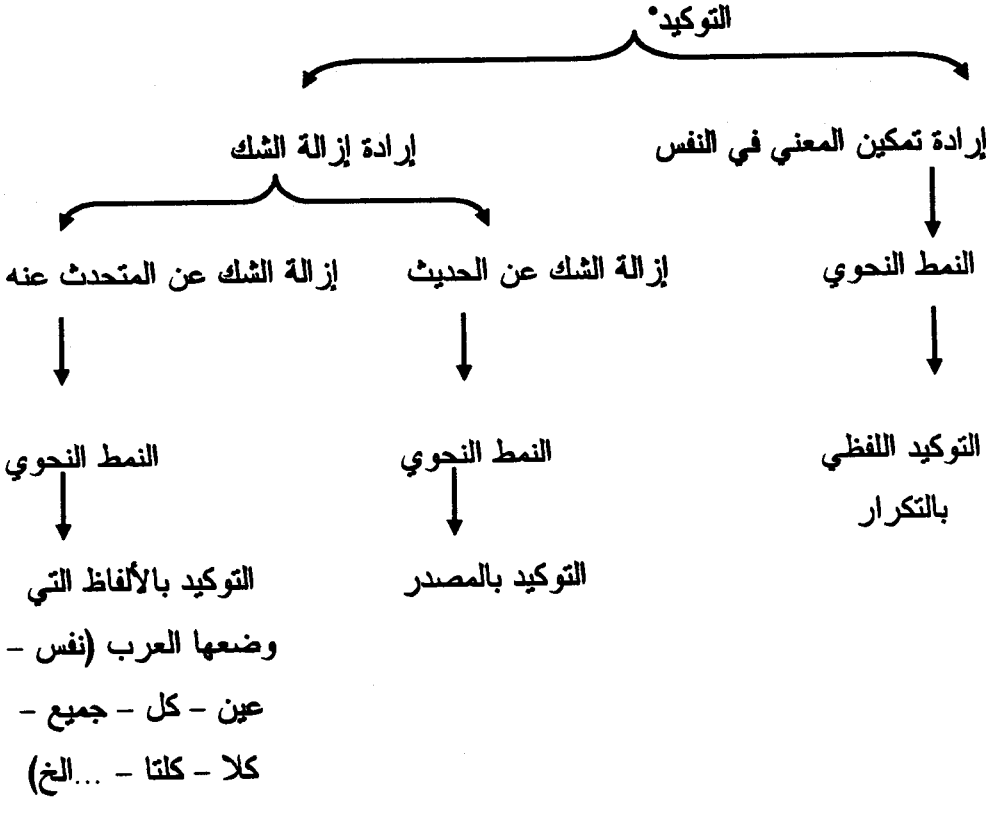

ويعد التقسيم السابق من أفضل التقسيمات النحوية التي راعت البعد النفسي، وربطت بينه وبين أنماط التراكيب المتعلقة بالتوكيد في النحو العربي(١٨٩).

القسم الأول: إرادة تمكين المعني في النفس :

أطلق عليه ابن عصفور (التوكيد اللفظي)، وتعني تكرار اللفظ، وفيه يوضح ابن عصفور وعيه بالعلاقة الذاتية النفسية للمتكلم حيث يقول "وهذا هو التوكيد الذي يراد به تمكين المعني في النفس، ذلك أن القائل: قام زيد قد يقول ذلك من غير تحقيق منه"(١٩٠).

ويبرز أيضاً فهمه الواضح للعلاقة مع الغير، وتعني السامع أو المخاطب، حيث يقول: "وقد يقول ذلك -أي المتكلم- ويذهل عن سماعه المخاطب، فإذا أكد فقال: قام زيد، قام زيد، كان في ذلك محافظة علي الكلام في حق المخاطب، وتحقيق لذلك الكلام، وأنه لم يكن ظن"(١٩١).

ويوضح الشكلان التاليان علاقات "التكرار اللفظي" المتعلقة: بالمتكلم والمخاطب:

المتكلم ← إرادة التحقيق من تمكين المعني في النفس ← التوكيد (بالتكرار اللفظي).

المتكلم ←إرادة التحقيق من تمكين المعني في النفس ←التوكيد(بالتكرار اللفظي) ← المخاطب.

ويتبين من الشكلين السابقين أن التوكيد هنا، لا يتحقق إلا بعد إرادة التحقق النفسي للمتكلم نفسه، أو إرادة التحقق النفسي في اتجاه المخاطب.

القسم الثاني: إرادة إزالة الشك :

فقد أطلق عليه ابن عصفور مصطلح (التوكيد المعنوي)، وفرعه إلى فرعين، الأول يتعلق بإزالة الشك عن الحديث، واختار له النمط التركيبي (التوكيد بالمصدر) نحو قولك:

مات فلان موتاً[١٩٢].

والثاني التوكيد الذي يراد به إزالة الشك عن المحدث عنه بالألفاظ التي وصفتها العرب، وتدرس في كتب النحو تحت مصطلح (التوكيد) المعنوي، وهي: نفس، وعين، وكل، وجميع، وكلا، وكلتا، أجمع... الخ [١٩٣].

٣- البناء للمجهول:

ويعني هذا السياق غير اللغوي بإبراز أهمية الدوافع النفسية القائمة على السلوك الإدراكي في إنشاء النمط النحوي الخاص بالبناء للمجهول، أو ما يطلق عليه النحاة مالم يسم فاعله وتحليله. فالسلوك الإدراكي وما يتفرع عنه هو السبب الحقيقي إلى إنشاء هذا النمط، أي إن المتكلم لا يلجأ إلى البناء للمجهول لعلة لغوية متعلقة بالسياق اللغوي، أو اضطرار متعلق بالتراكيب تدفعه إلى استخدام هذا النمط النحوي.

وتعرض الدراسة هنا للفعل المبني للمجهول بوصفه الجذر الذي يبنى عليه الوصف المشتق (اسم المفعول) من ناحية، وللإيجاز من ناحية أخرى.

ويعد كتاب (شرح جمل الزجاجي) لابن عصفور من المصادر النحوية التي التفتت إلى هذه الناحية النفسية الإدراكية، بل وجعلتها السبب الباعث الوحيد لإنشاء هذا النمط النحوي، وقد حصرها ابن عصفور في السلوك الإدراكية النفسية التالية :

الأول: الإدراك الذي يتعلق بالعلم.

الثاني: الإدراك الذي يتعلق بالجهل.

الثالث: الإدراك الذي يتعلق بالتعظيم.

الرابع: الإدراك الذي يتعلق بالتحقير.

الخامس: الإدراك الذي يتعلق بالإبهام.

السادس: الإدراك الذي يتعلق بالخوف.

السابع: ما يتعلق بالإدراك الإبداعي في الشعر والنثر(١٩٤).

ويمكن أن تتوزع هذه الإدراكات على مجالين كبيرين:

المجال الأول: الإدراكات السلوكية المستمدة من الواقع، وهي المتعلقة بالعلم والجهل والتعظيم والتحقير.

والمجال الثاني: الإدراكات السلوكية المستمدة من الذات وهي المتعلقة بالإبهام، والخوف، والإبداع.

وقد أورد ابن عصفور أمثلة تغطي هذه الإدراكات النفسية

- فمن الأمثلة الدالة على ما يتعلق بالعلم قولك : أنزل المطر، لأنه علم أن منزله الله تعالى.
- ومن الأمثلة الدالة على ما يتعلق بالجهل : ضرب زيد، لأنك لا تعلم الضارب.
- ومن الأمثلة الدالة على ما يتعلق بالتعظيم: ضرب اللص، إلا أنك لم تذكر القاضي إجلالاً له عن أن يذكر مع اللص في كلام واحد.
- ومن الأمثلة الدالة ما يتعلق بالتحقير: طعن عمر، ولا تذكر العلج الطاعن له، إجلالاً لعمر رضى الله عنه عن أن يكون اسمه مع اسم العلج في كلام واحد.

- ومن الأمثلة الدالة على ما يتعلق بالإبهام: ضرب زيدٌ. قصدت الإبهام على السامع، وأنت عالم بالضارب.
- ومن الأمثلة الدالة على ما يتعلق بالخوف: قتل الأميرُ ولا تذكر قاتله خوفاً من أن يقتص منك.
- ومن الأمثلة الدالة على ما يتعلق بالإبداع في الشعر والنثر لإقامة الوزن والقافية أو تقارب الأسجاع:

وأدرك المتبقي من ثميلتِه ومن ثمائلها واستتشئ الغرب

ألا ترى أنه لو ظهر الفاعل، لا نكسر البيت، ولنصب الغرب، فتختلف القوافي، ولتقارب الاسجاع:

ونُبِذَت الصنائع وجهل قدر المعروف

ألا ترى أنه لو ظهر الفاعل فقال: ونبذ الناس الصنائع، لطال السجع فلم تكن مقاربة للسجع(١٩٥).

عاشراً: النية والقصد :

ويعد هذا السياق غير اللغوي من السياقات المؤثرة في السياقات اللغوية والتراكيب، ولا يرتبط سياق النية والقصد بباب نحوي معين، بل يمكن أن نلمح أثره في ثنايا الأبواب النحوية، التي تتناول التقديم والتأخير.

ومن ذلك ما ذكره سيبويه (في باب الفاعل الذي يتعداه فعل إلى مفعول) حيث يقول" "فإن قدمت المفعول، وأخرت الفاعل، جرى اللفظ، كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله، لأنك إنما أردت به مؤخراً، ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخراً في اللفظ. فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون

فيه مقدماً. وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى[١٩٦].

ومن النص السابق يتضح أن النية والقصد، من المؤثرات غير اللغوية التي تتبع من إرادة المتكلم، الذي يريد أن يلفت انتباه السامع أو المخاطب إلى ما يقول.

ومن الأمثلة أيضاً الدالة على ذلك ما ورد في كسر وفتح همزة إن، بعد القول، فالمتكلم إن أراد الحكاية والقول فإن الهمزة ستكسر من مثل: قلت: إن زيداً قائم، ومنه قوله تعالى: "إني عبد الله"[١٩٧].

وإن صرح المتكلم باللفظ الدال على القول، إلا أنه أراد به الظن، فتحت الهمزة من مثل: أتقول أن زيداً قائم، أي تظن[١٩٨].

ومن الأمثلة المتعلقة بالنية والقصد أيضاً، ما ذكره النحاة (في باب البدل) عن البدل المباين للمبدل منه، حيث قسموه حسب النية والقصد إلى قسمين:

الأول: ما يقصد متبوعه كما يقصد هو، ويسمى **بدل الإضراب**، لأن المتكلم بداله ذكره، بعد ذكر الأول: نحو: أكلت خبزاً لحماً. قصدت أولاً الإخبار بأنك أكلت خبزاً، ثم بدا لك أن تخبر أنك أكلت لحماً أيضاً.

الثاني: **بدل الغلط**، وهو ما لا يقصد متبوعه: بل يكون المقصود البدل فقط، وإنما غلط المتكلم، ويسمى بدل الغلط والنسيان، نحو: رأيت رجلاً حماراً، أردت أن تخبر أولاً أنّك رأيت حماراً، فغلطت بذكر الرجل[١٩٩].

ومما تطرق إليه النحاة أيضاً عن القصد والنية، ما ذكروه في حديثهم عن نداء النكرة حيث قسموه قسمين:

الأول: نداء النكرة المقصودة، وعلامته البناء على ما يرفع به، نحو: يا رجل يا رجلان إلخ.

الثاني: نداء النكرة غير المقصودة، نحو: نداء الأعمى: يا رجلاً[٢٠٠].

ومن الأمثلة والنماذج السابقة، نجد أن المتاحات القياسية للتراكيب لا ترجع إلى السياقات اللغوية إنما ترجع إلى سياق غير لغوي يرجع إلى نية المتكلم وقصده، وما كانت التراكيب إلا تعبيراً عن إرادة القصد التي تحملها الرسالة اللغوية للمخاطب.

الخاتمة :

حاولت الدراسة الإفادة من المنهج السياقي - خاصة فيما يتعلق بالسياق غير اللغوي - في التطبيق على النحو. وقد انطلقت الدراسة من فرضية أن النحو باعتباره نظاماً للفهم أو حلقة الوصل المشتركة بين المتكلم والمخاطب، فلابد أن يخضع لما تخضع له اللغة إذا أردنا فهمها عن طريق نظرية السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي.

وألقت الدراسة الضوء على مقاييس يمكن أن نتعرف بها على السياقات غير اللغوية في الدرس النحوي، حيث حاولت أن تتلمس المتغيرات التركيبية وتحللها في هذا الإطار غير اللغوي، وحاولت قدر الإمكان أن تستبعد كل ما أمكن للسياق اللغوي فك شفرته وفهمه من الدخول في هذه الفرضية.

وقد واجهت الدراسة صعوبات تمثلت في:

١- اتساع المادة التي تخضع للدراسة.

٢- تعدد السياقات غير اللغوية مما استلزم التوقف بإزاء أهم السياقات التي تحقق الأهداف المرجوة.

٣- تعذر دراسة بعض التراكيب والأنماط النحوية في ضوء سياق غير لغوي واحد، وحاولت الدراسة قدر الإمكان أن تضع لكل سياق غير لغوي أغراضاً معينة تسعى إلى تحقيقها من خلال هذا السياق أو ذاك.

٤- غياب بعض السياقات غير اللغوية من المصادر النحوية، مما استتبع بحث النمط الواحد في أكثر من مصدر، ومحاولة إيجاد القواسم غير اللغوية المشتركة المفهومة منها.

٥- اختلاف المصطلح النحوي في المصادر النحوية استتبع التعامل بحرص وحذر شديدين، مما استلزم إعادة النظر في المصطلحات الخاصة، والاكتفاء باستخدام المصطلحات الشائعة.

٦- تعدد البيئات والجماعات اللغوية التي سجلت في المصادر النحوية، وقد استلزم ذلك البحث عن أقيسة صالحة للتعامل معها، مع عدم إغفال الخصوصية التي تمثلها بعض القواعد النحوية في ارتباطها ببيئة لغوية، أو جماعة معينة.

٧- تنوع المستويات اللغوية التي تعاملت معها الدراسة من حيث:

- المستوى اللغوي القرآني.
- المستوى اللغوي الشعري.
- المستوى اللغوي النثري.
- المستوى اللغوي العادي.

وقد تطلب ذلك النظر إليها، في إطار خاص، يحاول أن يلبي احتياجات الدراسة، وأهدافها. وحاولت الدراسة إيجاد التوازن في استخدام هذه المستويات جميعاً، دون تغليب نوع على نوع إلا ما يخدم وضوح الرؤية.

٨- خصوصية البحث في المصادر النحوية استتبع ضرورة النظر في سياقات غير لغوية لم تكن مطروحة في النظرية السياقية، من مثل، السياق المنطقي للنحاة، وسياق النية والقصد، وهذا الأخير تأثر فيه النحاة بالنية والقصد في الفقه الإسلامي، ولم تحاول الدراسة بحث اتجاهات النحاة الإسلامية من مثل التأثر بالفقه الإسلامي، أو المذاهب الإسلامية، أو التأثر بالفلسفة وعلم الكلام واتجاهاتها (معتزلة - أشاعرة.. إلخ) لأنه ليس من أهداف هذا البحث، كما أنه يحتاج إلى دراسة مستقلة.

وقد نحت الدراسة نحواً موضوعياً قدر الإمكان يجنبها الجنوح إلى اتجاه بعينه، ويعينها على البعد عن الشطط في الأحكام، أو المبالغة في التقدير.

كما حاولت الدراسة جاهدة ألا تفرض تصورات معينة، ثم تحاول تلمس الشواهد عليها، إنما اتجهت إلى العكس من ذلك حيث اتجهت خطوات البحث إلى النظر والاستقراء في الشواهد، ثم استخلاص النتائج.

وسعت الدراسة جاهدة إلى التحقق من الظواهر الشائعة، مع عدم الاعتماد على النادر، أو الشاذ، أو المتخيل لدى النحاة وليس له دليل من الواقع اللغوي، وذلك بالبحث في مصادر مختلفة، لا مصدر واحد.

وقد حصرت الدراسة مجال بحثها في سياقات غير لغوية كبرى يتفرع منها سياقات غير لغوية فرعية، وهذه السياقات غير اللغوية يمكن أن تغطي أغلب الجوانب غير اللغوية، وهذه السياقات هي:

أولاً: سياق الموقف أو الحال

وقد تفرع إلى سياقات فرعية هي:

أ- سياق الموقف الذي يتعلق بالحواس.

ب-سياق الموقف الذي يتعلق بعلاقة المتكلم والسامع.

ج-سياق الموقف الذي يتعلق بالمعرفة الذهنية.

د- سياق الموقف الذي يتعلق بعلاقات العموم والخصوص.

ه- سياق الموقف الذي يتعلق بالإيجاز والسرعة.

و- سياق الموقف الذي يتعلق بالوصف.

ثانياً: السياق الاجتماعي:

وتتفرع إلى قسمين:

الأول: السياق الاجتماعي الذي يتعلق بالقبائل العربية.

الثاني: السياق الاجتماعي الذي يتعلق بالجنس.

ثالثاً: السياق الطبيعي: وتفرع إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما يتعلق بالبيئة والحياة.

ب-ما يتعلق بالزمان والمكان.

ج-ما يتعلق بالتلازم والترتيب.

رابعاً: السياق الثقافي

وينقسم إلى قسمين:

الأول: السياق الثقافي المادي.

الثاني: السياق الثقافي المعنوي.

خامساً: السياق المنطقي للنحاة وينقسم إلى أربعة أقسام:

أ- منطقة افتراض أشياء غير موجودة في اللغة.

ب-منطق إنكار الموجود بإدعاء الزيادة.

ج-منطق الاختلاف فيما هو موجود أو قائم.

د- منطق تعدد التأويل والإعراب مع ثبات التركيب

سادساً: سياق تنوع الروايات والقراءات.

سابعاً: سياق الإبداع الشعري.

ثامناً: سياق الصفات الجسمية والإشارات. وينقسم قسمين:

أ- الصفات الحسمية.

ب-الإشارة الحسمية.

تاسعاً: السياق النفسي وينقسم قسمين:

١- السياق الذي يتعلق بالانفعال النفسي غير العادي.

٢- السياق الذي يتعلق بالسلوك الإدراكي.

أخيراً: السياق العاشر: الخاص بالنية والقصد.

الهوامش :

(١) أنظر: المزيد من التفصيل عن السياق غير اللغوي .Palmer: Semantics P. 41, 55, 56

(٢) أنظر: M.A.K.. Halliday: The notion of context in language. Text and context in functional linguistics, PP. 3-6

(٣) السابق، ص٣٥٤ وما بعدها.

(٤) السابق ، ص ٣٥٤ وما بعدها.

(٥) مصطفي ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية ، ص ٣٧. ناقش مصطفي ناصف العلاقة بين النحـــو والإبـــداع وسلطته في تقييد النشاط الإبداعي وأثره في النظم النقدية والبلاغية

(٦)انظر رأى أولمان في أهمية السياق الثقافى وأثره. S. Ullmann: Semantics PP. 50-52

(٧) أنظر ما ذكره جلال الدين السيوطي في ضرورة أن يعي المفسر أوجه القراءات، وزمن النزول، ومكان النزول والظروف المحيطة بالنص ؛ جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص ٨.

(٨) أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن جـــ٢، ص ٦٣٥.

(٩) أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن جـــ١ ص ١٣٠.

(١٠)نفسه ، جـــ٢ ص ٧٣٢.

(١١)نفسه ، جـــ٢ ص ٧٣١.

(١٢)أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن ، جـــ١ ، ص ٢٠١.

(١٣) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٦.

(١٤) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٣.

(١٥) حمزة بن قبلان: مراجعات لسانية – كتاب الرياض العدد ٧٥ جامعة الملك سعود الرياض فبراير ٢٠٠٠ ، ص ١٨.

(١٦) تمام حسان : الأصول، ص٧٦.

(١٧) السابق صـــ١٤.

(١٨)تمام حسان الأصول صـــ١٠٢ – صـــ١٠٣.

(١٩) سيبويه : الكتاب، ج١، ص٣٥.

(٢٠) نفسه: جـــ٢ ، ص ٣٥٩.

(٢١) نفسه جـــ١ ، ص ١٤٧.

(٢٢) نفسه جـــ٢ ، ص ٣٦١.

(٢٣) تمام حسان: اللغة العربية: معناها ومبناها صـــ١٦.

(٢٤) مازن الواعد: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، ص ٦٠.

(٢٥) نفسه ، ص ٦١، ص ٦٢.

(٢٦) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٥٥/ ص ٢٥٦.

(٢٧) حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة ، ص ١٨.

(٢٨) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة ، ص ١١٦.

(٢٩) ابن جني: الخصائص ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ وما بعدها.

(٣٠) نفسه راجع ، جـ٢ ، ص ص ٣٦٢ ، ٣٧٢.

(٣١) هدسون: علم اللغة الاجتماعي ترجمة: محمود عياد ص ١٩.

(٣٢) السابق ص ٣٦.

(٣٣) نفسه، ص ٣٦.

(٣٤) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة صـ٧٤.

(٣٥) نهاد الموسى : نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص٢٩-٣٠.

(٣٦) انظر: عبد الراجحي: علم اللغة وعلم النقد الأدبي محلة. فصول المجلد الأول – العدد الثاني يناير ١٩٨١ صـ١٢٠ وما بعدها.

وأيضاً: عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص١٥٧ وما بعدها.

(٣٧) محمد حافظ دياب: الأثنومثودولوجيا – ملاحظات حول التحليل الاجتماعي للغة، مجلة. فصول – المجلد الرابع – العدد الثالث – ١٩٨٤م صـ١٥٦.

(٣٨) سيبويه: الكتاب، جـ٢ صـ١٣٠.

(٣٩) ابن عصفور الأشبيلي: اشرح جمل الزجاجي الجزء الأول، تحقيق: صاحب أبو جناح د. ت حـ١ صـ١٠٢/ صـ١٠٣.

(٤٠) ابن عصفور الاشبيلي: شرح جمل الزجاجي حـ١ صـ٣٥٤.

(٤١) سيبويه: الكتاب حـ٢ صـ١٣٠.

(٤٢) محمد عبد العزيز النجار : التوضيح والتكميل، حـ١ صـ١٧٥: صـ١٧٦.

(٤٣) نفسه صـ١٧٦.

(٤٤) نفسه صـ١٧٧.

(٤٥) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ١٧٩.

(٤٦) ابن عقيل: التوضيح والتكميل ط صـ١٨٠.

(٤٧) سيبويه: الكتاب ج١، صـ١١.

(٤٨) السابق، ج١، صـ٢١١.

(٤٩) سيبويه الكتاب ج١، صـ٢١٦.

(٥٠) ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي ط صـ٣٠٩/٣١٠.

(٥١) ابن عقيل: التوضيح والتكميل ط صـ٣٧٣.

(٥٢) سيبويه: الكتاب ج١ صـ٣١١/٣١٢.

(٥٣) سيبويه: الكتاب ج١ صـ٣١٢.

(٥٤) ابن عقيل: التوضيح والتكميل ج١، صـ٣٧٣.

(٥٥) ابن عقيل: التوضيح والتكميل ط صـ٣٩٢.

(٥٦) أنظر مجدي إبراهيم يوسف: الخصائص النحوية للقبائل العربية التي ذكرها ابن عقيل، مجلة علوم اللغة، القاهرة المجلد (٤) العدد (٢) ٢٠٠١ صـ١٩٧ صـ٢٢٠

(٥٧) أنظر: ابن هشام: قطر الندي وبل الصدي، صـ١٤/١٥

(٥٨) أبن عقيل: التوضيح والتكميل ج١، صـ٣٥/٣٦

(٥٩) انظر: أبن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي ج١، صـ١٥١ وأيضًا: محمد عبدالعزيز النجار: التوضيح والتكميل ج١، صـ٣٨ صـ٤٤

(٦٠) نفسه، جـ١ صـ١٠٨.

(٦١) سيبويه: الكتاب جـ١ صـ٥٧.

(٦٢) سيبويه : الكتاب جـ١ صـ٥٧، أنظر أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢١٢

(٦٣) أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٤٨٠

(٦٤) أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٣٠٧

(٦٥) أبن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي جـ٢ صـ١٢٧

(٦٦) ابن عقيل : التوضيح التكميل جـ٢ صـ٢٢٠

(٦٧) Keith Allan: linguistic Meaning, P.36- 37

(٦٨) I bid

(٦٩) أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٣٣٧.

(٧٠) أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٤٤٥

(٧١) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٤٥٥

(٧٢) السابق نفس الصفحة

(٧٣) التوضيح والتكميل، جـ١ صـ٣٣٠

(٧٤) السابق، نفسه، ج١، صـــ٣٣٠ وما بعدها

(٧٥) التوضيح والتكميل، ج١، صـــ٤٢٢

(٧٦) في هذه المسألة آراء أخرى، تقول بالإتباع وتجيز ما أجازه بنو تميم، وهناك أراء أخرى تتعلق بالخطأ والنسيان الخ فيمكن القول: ما قام القوم إلا حمار.

(٧٧) التوضيح والتكميل، ج١، صـــ٤١٤

(٧٨) نفسه صـــ٤١٤، ٤١٥.

(٧٩) انظر السابق جـــ١ صـــ٤١٦،٤١٧.

(٨٠) سيبويه الكتاب جـــ١ صـــ٥٤.

(٨١) الكتاب نفسه الصفحة نفسها.

(٨٢) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـــ١ صـــ١٨٢.

(٨٣)Keith Allan: Linguistic menig , P. 37

(٨٤) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـــ١ صـــ٩٨/٩٩.

(٨٥) نفسه صـــ١٠٠/١٠١.

(٨٦) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـــ٢ صـــ٢٠٢.

(٨٧) ابن عصفور: شرح جمل الزجاج جـــ١ صـــ٣٢٧.

(٨٨) سيبويه الكتاب جـــ١ صـــ٢٥.

(٨٩) سيبويه: نفسه نفس الصفحة.

(٩٠) ابن هشام: شذور الذهب صـــ١٩٣.

(٩١) المبرد: المقتضب جـــ٤٩ /ص٥٠

(٩٢) ابن عقيل جـــ٢ صـــ١٨٩ -١٩٠.

(٩٣) ابن عقيل جـــ٢ صـــ١٧٥.

(٩٤) ابن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي جـــ١ صـــ٢٢٨.

(٩٥) ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي جـــ١ صـــ٢٧٤

(٩٦) انظر ابن جني: الخصائص جـــ٢ صـــ٤٣١- صـــ٤٣٣ حيث يتناول مثل هذه التراكيب في فصل الحمل علي المعني.

(٩٧) ابن عصفور: شرح الجمل للزجاجي جـــ٢ صـــ٤٥٣

(٩٨) ابن عقيل/ التوضيح والتكميل جـــ١ صـــ٤١٦

(٩٩) نفسه جـــ١ صـــ٤١٦ /٤١٧

(١٠٠) عبدالفتاح البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص٥٨ وما بعدها.

(١٠١) انظر: ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ٢ صـ١٨٧-١٨٨

(١٠٢) ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي جـ١ صـ٤٩٨

(١٠٣) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ٢ صـ٢١٠.

(١٠٤) سيبويه: الكتاب جـ١ صـ٢٨٠.

(١٠٥) السابق، ج١، ص٢٨١.

(١٠٦) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ٢ صـ١٢٢/١٢٣.

(١٠٧) ابن عقيل : التوضيح التكميل جـ١ صـ١٣٨.

(١٠٨) نفسه جـ١ صـ١٣٩.

(١٠٩) ابن عقيل : التوضيح والتكميل جـ١ صـ١٨٣.

(١١٠) نفسه جـ٢ صـ١٤٩/١٥٠.

(١١١) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٥/٢٦/٢٧.

(١١٢) أبن عصفور/ شرح جمل الزجاجي جـ١ صـ٣٨٥/٣٨٦.

(١١٣) أنظر: ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي جـ٢ صـ٨٢،أنظر: ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ٢ صـ٢٠٥ وما بعدها.

(١١٤) أنظر: أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ١٣٢.

(١١٥) أنظر السابق صـ١٣٤

(١١٦) نفسه نفس الصفحة

(١١٧) السابق صـ٤٨٨ - صـ٤٩١.

(١١٨) السابق صـ٤٩٧.

(١١٩) نفسه الصفحة نفسها.

(١٢٠) ابن عصفور شرح جمل الزجاجي حـ٢ صـ٤٥٧.

(١٢١) سيبويه: الكتاب حـ١ صـ٧٢.

(١٢٢) نفسه نفس الصفحة.

(١٢٣) ابن عقيل: التوضيح والتكمير حـ١ صـ١٠١ وما بعدها

(١٢٤) السابق نفسه صـ٢٢٢ / ٢٢٣

(١٢٥) ابن هشام: شذور الذهب صـ١٩٣.

(١٢٦) سيبويه الكتاب حـ٣ ١٥٨.

(١٢٧) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ٢٢٦.

(١٢٨) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ١٤٧

(١٢٩) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ١٤٧، ابن هشام: شذور الذهب صـ١٨٢.

(١٣٠) سورة مريم الآية ٤٦.

(١٣١) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ١٤٧.

(١٣٢) انظر السابق أيضاً نفس الصفحة، وأيضاً ابن هشام شذور الذهب صـ١٨٢.

(١٣٣) انظر السابقين الصفحات نفسها.

(١٣٤) انظر: ابن عقيل التوضيح والتكميل حـ١ صـ١٨٤/ ١٨٥.

(١٣٥) انظر: السابق نفسه صـ١٨٥.

(١٣٦) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ٥٥.

(١٣٧) نفسه صـ٥٥/ صـ٥٦.

(١٣٨) أنظر: سيبويه: الكتاب حـ٢ صـ١٣٧.

(٤) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ٢٥٩؛ ابن هشام: شذور الذهب صـ٢٨٠.

(٥) سيبويه: الكتاب حـ٢ صـ١٣٨.

(١٤٠) انظر: المصادر السابقة الصفحات نفسها.

(١٤١) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٧٠

(١٤٢) سيبويه: الكتاب جـ٢ صـ١٣٥ ؛ ابن هشام: شذوذ الذهب صـ٢٨٥

(١٤٣) راجع المصدرين السابقين من الصفحات نفسها

(١٤٤) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٧٠

(١٤٥) أبن عقيل : التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٥١.

العكبري: التبان في إعراب القرآن جـ١ صـ٥٠٠.

(١٤٦) أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٦٩.

(١٤٧) أنظر: العكبري: البيان في إعراب القرآن جـ١ صـ١٨٥، أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٦٩.

(١٤٨) أنظر: أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٦٨/ صـ٢٦٩.

(١٤٩) أنظر: سيبويه: الكتاب جـ٢ صـ٢٩٢. ؛أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٧٦ – صـ٢٧٧.

(١٥٠) سيبويه : الكتاب جـ١ صـ٩٨.

(١٥١) نفسه جـ١ صـ١٠١.

(١٥٢) أبن حنبي: الخصائص جـ١ صـ٣٩٤

(١٥٣) أنظر: ابن عصفور: شرح: جمل الزجاجي جـ١ صـ٥٤٩

(١٥٤) قبلها ابن مالك تحت هذا المصطلح حيث قال:

وصفة صريحة صلة أل وكونها بمعرب الأفعال قل

وقد تابعة ابن عقيل في شرحه. راجع ابن عقيل التوضيح والتكميل جـ١ صـ١١٧ وما بعدها

(١٥٥) أشار ابن هشام إلي أنها من الضرورات القبيحة. ؛ راجع: ابن هشام شذوذ الذهب صـ١٦/١٧.

(١٥٦) ورد هذا الشاهد في المصدرين السابقين

(١٥٧) أنظر: ابن عقيل التوضيح والتكميل جـ١ صـ١١٩

(١٥٨) أنظر: ابن هشام: شذوذ الذهب صـ١٧

(١٥٩) أنظر : ابن عيل : التوضيح والتكميل جـ١ صـ٨٠

(١٦٠) السابق نفسه صـ٨٢

(١٦١) أنظر: ابن هشام: شذوذ الذهب صـ٩٩-١٠٠

(١٦٢) أنظر: أبن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ١١١

(١٦٣) انظر، كريم زكي حسام الدين : الإشارات الجسمية وفيه تفاصيل قيمة عن أثر الإشارات عن توجيه المعنى والحدث الكلامي، ص١١٣ وما بعدها.

(١٦٤) أبن عقيل: التوضيح والتكميل: جـ١ صـ٤٤/٤٥

(١٦٥) نفسه صـ٣٢٤

(١٦٦) نفسه صـ ٢٧٧

(١٦٧) أبن حلبي : الخصائص جـ٢ صـ٣٧٣

(١٦٨) نفسه الصفحة نفسها

(١٦٩) ظهرت اتجاهات في الدرس اللغوي الحديث تربط بين علم النفس واللغة، ومن ذلك ما يطلق عليه علم النفس الإدراكي، وعلم اللغة النفسي الذي يهتم بأمور العلاقة بين اللغة والعقل والشخصية. وكذلك أيضًا محاولة التوليديين للربط بين الجانب النفسي واللغة والدعوة إلى وجوب قيام دراسة اللغة على العقل أولاً، إلا أنها لم تنح النهج نفسه التي تحاول دراستنا الاتجاه إليه؛ راجع عاطف مدكور : علم اللغة بين القديم والحديث، ص٥١، ٥٢؛ وأيضًا جوتث جرين : علم اللغة النفسي، تومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، ص٢٣ وما بعدها.

(١٧٠) S. Ullmann : Semantics. P, 11-13,

انظر أيضًا : محمود السعران : علم اللغة، ص٣٠٢-٣٠٤.

(١٧١) سيبويه: الكتاب جـ٢ صـ٦٥/٦٦.

(١٧٢) السابق جـ٢ صـ٦٩.

(١٧٣) نفسه صـ٧٠.

(١٧٤) نفسه صـ٧١.

(١٧٥) السابق صـ٧٤/٧٥.

(١٧٦) انظر ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ١ صـ١٨٣، جـ٢ صـ١٥٢/١٥٣؛ انظر ابن هشام: شذور الذهب صـ٤٣٤

(١٧٧) سيبويه جـ١ صـ٧٢/٧٣

(١٧٨) السابق جـ٢ ٢٣٧-٢٩٣

(١٧٩) ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ٢ صـ١٠٠ وما بعدها

(١٨٠) سيبويه: الكتاب جـ٢ صـ٢٢٠

ابن عقيل: التوضيح والتكميل جـ٢ صـ٢٢٥

(١٨١) ابن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي جـ١ صـ٥٠٠/٥٠١ .

(١٨٢) سيبويه الكتاب جـ١ صـ٣٩/٤٠

(١٨٣) انظر: ابن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي جـ١ صـ٣٠٢/٣٠٣، في التفريق بين أفعال الظن وأفعال الحواس حيث يقرر أن أفعال الحواس كلها تتعدى إلى مفعول واحد.

(١٨٤) ابن عقيل : التوضيح والتكميل جـ١ صـ٢٨٧

(١٨٥) نفسه جـ١ صـ٢٨٧-٢٨٨

(١٨٦) السابق جـ٢ صـ١٥٦

(١٨٧) ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي جـ١ صـ٢٦٣

(١٨٨) انظر: ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي جـ١ صـ٢٦٢. حيث يشرح التوكيد معتمدا علي هذا الجانب النفسي.

* انظر لمزيد من التفاصيل حول التوكيد، ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي جـ١ من صـ٢٦٢ إلي صـ٢٧٩.

(١٨٩) السابق، الصفحات نفسها، وفيها يطرح ابن عصفور المزيد من الأمثلة في الشعر والنثر.

(١٩٠) نفسه صـ٢٦٣

(١٩١) نفسه الصفحة نفسها

(١٩٢) السابق صـ٢٦٣/٢٦٤

(١٩٣) نفسه صـ٢٦٤ وما بعدها.

(١٩٤) انظر: ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي حـ١ صـ٥٣٤ - ٥٣٥.

(١٩٥) السابق الصفحات نفسها.

(١٩٦) سيبويه: الكتاب حـ١ صـ٣٤.

(١٩٧) ابن عقيل: التوضيح والتكميل حـ١ صـ٢٤٦.

(١٩٨) السابق: الصفحة نفسها.

(١٩٩) نفسه الصفحة نفسها.

(٢٠٠) نفسه حـ٢ صـ٢٠٥/٢٠٦ ؛ أنظر أيضاً: ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي حـ٢ صـ٨٣.

المراجع والمصادر :

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

١- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.

٢- ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص، تحقيق محمد على النجار الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

٣- جودث جرين : علم اللغة النفسي، تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٤- سيبويه أبو بشر عمرو قمبر : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون ط٣ الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.

٥- السيوطي، جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، مصطفى البابي الحلبي، ط٣، القاهرة، ١٩٥١.

٦- عاطف مدكور : علم اللغة الحديث، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م.

٧- عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

٨- عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار، القاهرة، ١٩٩١م.

٩- ابن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح د.ت.

١٠- محمد حماسة عبداللطيف : النحو والدلالة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م

١١- محمد عبدالعزيز النجار : التوضيح والتكميل، مطبعة الفجالة – القاهرة ١٩٦٦.

١٢- العبكري، أبو البقاء العبكري : التباين في إعراب القرآن، تحقيق على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٧٦.

١٣- كريم زكي حسام الدين : الإشارات الجسمية، مكتبة الأنجلون ١٩٩١م.

١٤- مازن الواعر : نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار كلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٧

١٥- **المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبـرد** : المقتضـب ط٣، القـاهرة ١٩٥١ وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التـراث الإسـلامي، القـاهرة، ١٩٩٤م.

١٦- **محمود السعران** : علم اللغة، مقدمة إلى القـارئ العربـي، دار المعـارف، القـاهرة، ١٩٦٣م.

١٧- **مصطفى ناصف** : النقد العربي نحو نظرية ثانية، عالم المعرفة الكويت، مارس ٢٠٠٠.

١٨- **نهاد الموسى** : نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، الأردن، ط٢، ١٩٨٧م

١٩- **ابن هشام** :

- قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـد المكتبـة التجاريـة، القاهرة ١٩٦٣.

- شذور الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٠- **هدسون** : علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب القاهرة ١٩٩٠.

ثانيًا : الدوريات :

- **حمزة بن قبلان** : مراجعات لسانية، كتاب الرياض العـدد ٧٥ - جامعـة الملـك سـعود - الرياض، فبراير ٢٠٠٠م.

- **عبده الراجحي** : علم اللغة وعلم النقد الأدبي، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني/ يناير ١٩٨١.

- **مجدي إبراهيم يوسـف** : الخصائص النحوية للقبائل العبرية التي ذكرها ابن عقيل مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع، العدد الثاني/ القاهرة ٢٠٠١.

- **محمد حافظ دياب : الأثنوميثولوجيا، ملاحظات حول التحليل الاجتماعي للغة، مجلة فصـــول، المجلد الرابع، العدد الثالث، ١٩٨٤م.**

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1) F. R. PALMAR: SEMANTICS CAMBRIDEGE UNIVERSITY PRESS- SECOND CDITION 1983
2) KEITH ALLAN: L INGUISTIC MEANING, ROUTLEDGE & KEGAN PAUL, LONDON, 1980, VOL, I.
3) M.A.K. HALLIDAY : THE NOTION OF CONTEXT IN LAUGUAGE, TEXT AND CONTEXT IN FUNCTIONAL LINGUISTICS, JOHN BENJAMINS, PUBLISHING COMPANY, AMSTERDAM HOLAND, 1998.
4) STEPHEN ULLMANN: SEMANTICS OXFORD PRESS-1972